من قصص المغامرات للأطفال

وفاء

من قصص المغامرات للأطفال

١

وفاء

بقلم

محمد احمد برانق

تصدرها

مؤسسة المطبوعات الحديثة

طَرِيفٌ وَبِنْتُ عَمِّهِ عَزَّةُ تَسَلَّلاَ إِلَى السَّفِينَةِ « زَهْرَةِ الْبِحَارِ » فِي أَثْنَاءِ اسْتِعْدَادِهَا لِرِحْلَةٍ إِلَى الشَّرْقِ الْأَقْصَى .

رَأَى رُبَّانُ السَّفِينَةِ طَرِيفاً وَعَزَّةَ ، فَصَاحَ فِيهِمَا :

— أَلَمْ آمُرْكُمَا أَيُّهَا الشَّقِيَّانِ أَلَّا تَتَسَلَّلا إِلَى سَفِينَتِي ؟؟

أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ ذَلِكَ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؟؟

وَلَمْ يَنْتَظِرِ الطِّفْلاَنِ حَتَّى يَسْمَعَا بَقِيَّةَ الْكَلاَمِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الرُّبَّانُ الْغَاضِبُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمَا كَانَا قَدْ قَفَزَا ثَانِيَةً إِلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ ، وَابْتَعَدَا عَنِ السَّفِينَةِ مَسَافَةً تَقِيهِمْ غَضَبَ الرُّبَّانِ ، وَتَمْنَعُ عَنْهُمْ سُخْطَهُ ، فَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْسِكَهُمَا وَلَا أَنْ يَضْرِبَهُمَا .

جَلَسَ طَرِيفٌ فَوْقَ كُومَةٍ مِنَ الْبَضَائِعِ ، وَأَخَذَ يُحَدِّقُ بِبَصَرِهِ فِي السَّفِينَةِ ، ثُمَّ قَالَ :

— لَقَدْ طَلَبْتُ مِنْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يَصْحَبَنَا مَعَهُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْخَرُ مِنِّي فِي كُلِّ مَرَّةٍ .

فَسَأَلَتْهُ عَزَّةُ :

— هَلْ قُلْتَ لَهُ إِنَّ فِي إِمْكَانِنَا أَنْ نَقُومَ بِخِدْمَةِ الرُّكَّابِ فِي مَقْصُورَةِ السَّفِينَةِ ، كَمَا نَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِأَيِّ عَمَلٍ يُكَلِّفُنَا إِيَّاهُ ؟؟

فَأَجَابَهَا طَرِيفٌ :

— نَعَمْ . . لَقَدْ أَخْبَرْتُهُ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُؤَدِّيَ لِرُكَّابِ السَّفِينَةِ أَعْمَالًا تُوَفِّرُ عَلَيْهِ مُرَتَّبَاتِ بَعْضِ الْخَدَمِ ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُومَ بِعَمَلٍ يُوَفِّرُ عَلَيْهِ مُرَتَّبَاتِ بَعْضِ الْعُمَّالِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصْحِبَ أَطْفَالًا عَلَى سَفِينَتِهِ فِي رِحْلَةٍ كَتِلْكَ الرِّحْلَةِ الَّتِي يُزْمِعُ الْقِيَامَ بِهَا .

صَمَتَ طَرِيفٌ وَعَزَّةُ عِدَّةَ لَحَظَاتٍ ، وَكَانَتْ عُيُونُهُمَا

تُحَدِّقُ فِي السَّفِينَةِ ، وَكَانَ الْأَسَفُ والْحَسْرَةُ يَمْلَآنِ نَفْسَيْهِمَا ... ثُمَّ قَالَتْ عَزَّةُ :

— هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الرِّحْلَةَ لِلْبَحْثِ عَنْ كَنْزٍ ؟؟!!

فَقَالَ طَرِيفٌ :

— هَكَذَا تَقُولُ الإِشَاعَاتُ ... فَقَدْ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ الَّذِي يَعْمَلُ سَاقِيًا أَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ لِلْبَحْثِ عَنْ سَفِينَةٍ أَسْبَانِيَّةٍ كَانَتْ تَحْمِلُ كَنْزاً ، وَكَانَتْ قَدْ جَنَحَتْ عَلَى شَاطِئٍ آسْيَا فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عشرَ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الرِّحْلَةِ والْكَنْزِ ، فَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ عَادِلًا — وَهُوَ الَّذِي جَهَّزَ السَّفِينَةَ وَهَيَّأَهَا لِلسَّفَرِ — لَدَيْهِ خَرِيطَةٌ تُبَيِّنُ الْمَكَانَ الَّذِي جَنَحَتْ فِيهِ السَّفِينَةُ وَتُحَدِّدُهُ ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَتِ السَّفِينَةُ مَازَالَتْ هُنَاكَ إِلَى الآن — فَإِنَّ كُلَّ رَجُلٍ عَلَى « زَهْرَةِ الْبِحَارِ » سَيَعُودُ

بثروةٍ تجعلهُ غنيًّا .

فقالتْ عزَّةُ بصوتٍ خافتٍ :

— لا بُدَّ أنَّهُ شيءٌ جميلٌ أنْ يكونَ المرءُ غنيًّا ! !

ثُمَّ أضافتْ وهيَ تُحدِّقُ بنظرِها فى السَّفينةِ :

— يا تُرَى !! أينَ وجدَ عادلٌ تلكَ الخريطةَ ؟ ؟

فأجابها طريفٌ :

— لقدْ أخبرنى سالمٌ أنَّ عادلًا ورثَ تلكَ الخريطةَ عنْ أجدادِه ، فقدْ تداولَها أفرادُ الأسرةِ أبًا عنْ جدٍّ حتَّى وصلتْ إلى عادلٍ . وأنَّ أحدَ أجدادِ عادلٍ هوَ الَّذى أسرَ السَّفينةَ الأسبانيَّةَ ، ولكنَّهُ قبلَ أنْ يتمكَّنَ هوَ وبحَّارتُهُ منْ سحبِ السَّفينةِ إلى الوطنِ هبَّتْ عاصفةٌ هوجاءُ دفعتِ السَّفينةَ إلى الشَّاطئِ ، ولذلكَ اضطرُّوا إلى تركِها هُناكَ ، إلَّا أنَّ جدَّ

عَادِلٍ رَسَمَ خريطةً تُبَيِّنُ مَوْقِعَ السَّفينةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْوِي أَنْ يَعُودَ ثَانِيَةً لِيَسْتَوْلِيَ عَلَى مَا تَحْمِلُهُ مِنْ ذَهَبٍ وجَواهِرَ ، فَلَمْ يُقَدِّرْ لَهُ أَنْ يُنَفِّذَ خُطَّتَهُ ، إِذْ أَنَّهُ بِمجردِ عَوْدتهِ إِلَى وَطنه أَصَابه مَرَضٌ شَدِيدٌ ثُمَّ عَاجَلَهُ الْموْتُ ، ونَسِيَ الْجَمِيعُ أَمْرَ الخريطةِ حتَّى جَاء عَادِلٌ وَوَجَدَهَا ، فقرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ لِلْبَحْثِ عَنْ سفينةِ الكَنْزِ ، لَعَلَّه يَعْثُرُ عَلَيْهَا .

صَمَتَتْ عَزَّةُ فَتْرَةً قصيرةً ثُمَّ قَالَتْ :

— كَمْ أَوَدُّ لو أَخَذُونَا مَعَهُمْ !! لَقَدْ ضَرَبَنِي عَمِّي الْيومَ مَرَّةً أُخْرَى !!

فَقَالَ طَرِيفٌ غَاضِبًا :

— نَعَمْ . لَقَدْ علمْتُ ذَلِكَ . وقَدْ ضربَنِي أَنَا أَيضًا أَمْسِ !!

فَقَالَتْ عزَّةُ :

— إِنَّهُ مُغْرَمٌ بِضَرْبِنَا وَإِيذَائِنَا ، وَقَدْ أَصْبَحْتُ فَتَاةً

كَبِيرَةً ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُضْرَبَ هَـكَذَا ، وَلِذَلِكَ قَرَّرْتُ أَلَّا أُضْرَبَ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ .

فَنَظَرَ طَرِيفٌ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ فِي دَهْشَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَقَالَ مُتَسَائِلًا :

— وَلَـكِنْ كَيْفَ تَمْنَعِينَ عَمَّكِ مِنْ ضَرْبِكِ ؟ إِنَّهُ قَاسٍ جِدًّا .. إِنَّهُ فَظٌّ غَلِيظُ الطَّبْعِ .

فَقَالَتْ عِزَّةُ :

— لَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ أَهْرُبَ .

فَصَاحَ طَرِيفٌ :

— تَهْرُبِينَ ؟ ؟

فَأَجَابَتْ عَزَّةُ :

— نَعَمْ ، سَأَهْرُبُ ، بَلْ سَنَهْرُبُ جَمِيعًا ، أَنَا وَأَنْتَ . إِنَّكَ سَتَأْتِي مَعِي حَتْمًا .

فَصَاحَ طَرِيفٌ :

— أَحَقًّا ؟ وَإِلَى أَيْنَ نَهْرُبُ ؟

فَقَالَتْ عَزَّةُ :

— إِلَى الشَّرْقِ الأَقْصَى !

فَقَالَ طَرِيفٌ :

— إِلَى الشَّرْقِ الأَقْصَى ؟ إِنَّنِي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَ ذَلِكَ ! كَيْفَ نَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَى الشَّرْقِ الأَقْصَى ؟!

فَصَاحَتْ عَزَّةُ :

— طَرِيفُ . . لاَ تَكُنْ غَبِيًّا . لَقَدْ دَبَّرْتُ كُلَّ شَيْءٍ فِي ذِهْنِي ، فَالسَّفِينَةُ زَهْرَةُ الْبِحَارِ سَتُبْحِرُ غَدًا صَبَاحًا وَقَدْ رَتَّبْتُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ يَنَامَ عَمُّنَا نَرْتَدِي بَعْضَ ثِيَابِكَ ، ثُمَّ نَتَسَلَّلُ مِنَ الْمَنْزِلِ وَنَذْهَبُ إِلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ ، وَنَدْلِفُ خِفْيَةً إِلَى زَهْرَةِ الْبِحَارِ ، وَنَخْتَبِئُ حَتَّى تُقْلِعَ السَّفِينَةُ ، وَتَبْتَعِدَ إِلَى عَرْضِ

الْبَحْرِ . فَإِذَا كَشَفُوا وُجُودَنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَسَيُضْطَرُّونَ إِلَى أَخْذِنَا مَعَهُمْ ؛ لأَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الْمِينَاءِ ثَانِيَةً لِيُنْزِلُونَا إِلَى الشَّاطِئِ .

شَكَّ طَرِيفٌ فِي كَلاَمِ عزَّةَ ، وَقَالَ :

— سَيَغْضَبُ الرُّبَّانُ غضباً شَدِيداً ، وَرُبَّمَا ضَرَبَنَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ عَمُّنَا يَضْرِبُنَا .

فَقَالَتْ عزَّةُ :

— عَلَى كُلِّ حَالٍ سَيَضْرِبُنَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ . وَبَعْدَ ذَلِكَ نَجْتَهِدُ أَنْ نَكُونَ نَافِعَيْنِ حَتَّى نَجْعَلَ الْجَمِيعَ مَسْرُورِينَ لاصْطِحَابِنَا مَعَهُمْ . سَتَأْتِي مَعِي طَبْعًا . . أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا طَرِيفُ ؟

فَكَّرَ طَرِيفٌ فِي الْمُغَامَرَةِ وَفِي الْكَنْزِ وَقَالَ :

— إِنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يُعْطُونَا نَصِيباً مِنْهُ ، وَعِنْدَئِذٍ

نَعُودُ إِلَى الْوَطَنِ أَغْنِيَاءَ وَلاَ يَعُودُ عَمُّنَا يُعَامِلُنَا بِقَسْوَةٍ وَغِلْظَةٍ .

تَأَلَّقَتْ عَيْنَا الصَّبِيِّ وَهَتَفَ قَائِلاً : نَعَمْ يَا عِزَّةُ سَآتِي مَعَكَ . ثُمَّ أَدَارَ بَصَرَهُ بِحَذَرٍ حَوْلَهُ لِيَتَحَقَّقَ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لاَ يَسْمَعُهُمَا وَقَالَ : هَيَّا يَا عِزَّةُ . فَلْنَبْتَعِدْ مِنْ هُنَا ، فَلَوْ رَآنَا عِمَادٌ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ هُنَا فَإِنَّهُ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَشُكَّ فِي الْأَمْرِ ، وَفَضْلاً عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَشْتَرِيَ بَعْضَ الطَّعَامِ لِنَأْخُذَهُ مَعَنَا ؛ لِأَنَّنَا لَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَطْلُبَ طَعَامًا مِنْ طَاهِي السَّفِينَةِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ .

وَأَمْضَى الطِّفْلاَنِ بَقِيَّةَ الْيَوْمِ فِي عَمَلِ تَرْتِيبَاتٍ سِرِّيَّةٍ . وَبَعْدَ أَنِ انْتَصَفَ اللَّيْلُ اقْتَرَبَ الطِّفْلاَنِ مِنْ رَصِيفِ الْمِينَاءِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَكَانَا يَبْدُوَانِ كَصَبِيَّيْنِ نَحِيلَيْنِ ، يَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهُمَا حُزْمَةً كَبِيرَةً ، وَيَتَسَلَّلاَنِ مُتَسَتِّرَيْنِ بِالظِّلاَلِ مُتَّجِهَيْنِ نَحْوَ السَّفِينَةِ « زَهْرَةِ الْبِحَارِ » .

وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَيَا نَظْرَةً فَاحِصَةً حَذِرَةً حَوْلَهُمَا دَلَفَا إِلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ فِي سُكُونٍ ، وَوَقَفَ الطِّفْلَانِ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ وَهُمَا لَا يَكَادَانِ يَجْرُؤَانِ عَلَى التَّنَفُّسِ ، وَأَرْهَفَا آذَانَهُمَا لِيَتَبَيَّنَا أَيَّ صَوْتٍ يَنِمُّ عَلَى أَنَّ وُجُودَهُمَا عَلَى السَّفِينَةِ قَدْ كُشِفَ ، وَلَكِنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ هَادِئًا عَلَى سَطْحِ زَهْرَةِ الْبِحَارِ ، وَكَانَ الظَّلَامُ يَشْمَلُهُمَا بِرِدَائِهِ الْقَاتِمِ . فَأَخَذَ طَرِيفٌ يَدَ عِزَّةَ وَقَادَهَا نَحْوَ إِحْدَى الْفَتَحَاتِ الَّتِي كَانَ قَدْ رَآهَا أَثْنَاءَ النَّهَارِ فِي سَطْحِ السفينةِ ، وَأَخَذَا يَتَقَدَّمَانِ خُطْوَةً بَعْدَ خُطْوَةٍ حَتَّى بَدَتْ لَهُمَا الْفَتْحَةُ الْمُظْلِمَةُ أَمَامَهُمَا . فَقَالَتْ عِزَّةُ خَائِفَةً :

— كَيْفَ نَسْتَطِيعُ النُّزُولَ فِي هَذِهِ الْفَتْحَةِ ؟

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ عِزَّةَ وَقَدْ بَدَأَتْ الْمُغَامَرَةُ كَانَتْ تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ تَقْتَرِحْ هَذِهِ الْفِكْرَةَ ، فَقَدْ دَخَلَ قَلْبَهَا الصَّغِيرَ الْخَوْفُ ، وَتَمَنَّتْ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ نَائِمَةً فِي فِرَاشِهَا الدَّافِئِ .

وقالَ لَهَا طَرِيفٌ مُشَجِّعًا :

— إنَّ كلَّ شَيْءٍ سَيَكُونُ عَلَى خَيْرِ مَا نُرِيدُ . فَهَذَا حَبْلٌ ، فانْزِلِي أنْتِ عَلَيْهِ أوَّلاً ، ثُمَّ سَأُنَاوِلُكِ الْحُزْمَتَيْنِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَلْحَقُ بِكِ ، وَعِنْدَمَا تَصِلِينَ هُزِّي الْحَبْلَ مَرَّتَيْنِ لِأَعْرِفَ أنَّكِ قَدْ وَصَلْتِ .

وَلَمْ يترك طريفٌ فُرْصَةً لعزَّةَ لِكَيْ تُفَكِّرَ فيما يُمْكِنُ أنْ تَجِدَهُ فِي انْتِظَارِهَا فِي الظَّلَامِ ، بَلْ وَضَعَ الْحَبْلَ فِي يَدِهَا ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ كانَتْ عزَّةُ تَتَسَلَّقُ الْحَبْلَ هَابِطَةً إلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ الْمُظْلِمِ . وَنَزَلَتْ عزَّةُ فَوْقَ كُومَةٍ مِنَ الصَّنَادِيقِ ، وَعِنْدَئِذٍ هَزَّتْ الْحَبْلَ مَرَّتَيْنِ لِيَعْلَمَ طَرِيفٌ أنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ بِسَلَامٍ .

وَبِسُرْعَةِ الْبَرْقِ جَذَبَ طَرِيفٌ الْحَبْلَ إلَى أعْلَى ، ثُمَّ أنْزَلَهُ بَعْدَ لَحَظَاتٍ وَقَدْ رَبَطَ الْحُزْمَتَيْنِ فِي طَرَفِهِ ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ

أُخْرَى هَبَطَ طَرِيفٌ فَوْقَ كُومَةِ الصَّنَادِيقِ بِجِوَارِ بِنْتِ عَمِّهِ ، وَهَمَسَ قَائِلاً :

— فَلْنَبْحَثْ عَنْ مَكَانٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْتَبِئَ فِيهِ وَنَنَامَ .

وَأَخَذَ طَرِيفٌ وَعَزَّةُ يَتَحَسَّسَانِ طَرِيقَهُمَا بَيْنَ الصَّنَادِيقِ ، حَتَّى وَجَدَا مَكَانًا بَيْنَ صُنْدُوقَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَنَامَا فِيهِ . وَكَانَ التَّعَبُ قَدْ نَالَ مِنْهُمَا مَنَالاً شَدِيدًا ، فَسُرْعَانَ مَا اسْتَغْرَقَا فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ بِالرَّغْمِ مِنْ صَلَابَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يَنَامَانِ عَلَيْهَا .

اسْتَيْقَظَ الطِّفْلَانِ بَعْدَ بِضْعِ سَاعَاتٍ بِفِعْلِ حَرَكَةِ السَّفِينَةِ وَهِيَ تَعْلُو وَتَهْبِطُ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ فِي عَرْضِ الْمُحِيطِ وَأَصْوَاتُ رِجَالٍ قَرِيبَةٌ مِنْهُمَا ، وَسَمِعَا صَوْتًا يقول :

— لَقَدْ وَجَدْتُ مَا يُرِيدُهُ الطَّبَّاخُ يَا سَلَامَةُ . . هَذَا هُوَ بِرْمِيلُ الْبُقُولِ .

فَرَدَّ رَجُلٌ آخَرُ قَائِلاً :

— حَسَنًا . . ! وَالآنَ أَيْنَ الْحَبْلُ ؟ ؟

أَطَلَّ الطِّفْلاَنِ مِنْ مَخْبَئِهِمَا ، فَوَجَدَا اثْنَيْنِ مِنَ الْبَحَّارَةِ يَرْبِطَانِ حَبْلاً حَوْلَ بِرْمِيلٍ صَغِيرٍ ؛ لِيَرْفَعَاهُ إِلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ ، وَمَعَهُمَا مِصْبَاحٌ صَغِيرٌ يُضِيءُ لَهُمَا الْمَكَانَ ضَوْءًا خَافِتًا خَفِيفًا . وَبَعْدَ أَنْ رَبَطَ الرَّجُلاَنِ الْبِرْمِيلَ وَاسْتَعَدَّا لِيَصْعَدَا فِي سُلَّمٍ خَشَبِيٍّ أَحْضَرَاهُ لِهَذَا الْغَرَضِ ، صَدَرَتْ مِنْ أَحَدِهِمَا صَرْخَةٌ دَهْشَةٍ ، ثُمَّ انْحَنَى عَلَى الأَرْضِ وَالْتَقَطَ شَيْئًا كَانَ عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ قَدَمَيْهِ ، وَقَالَ :

— انْظُرْ يَا سَلاَمَةُ ! إِنَّهَا قُبَّعَةُ صَبِيٍّ صَغِيرٍ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ صِبْيَانٌ صِغَارٌ عَلَى السَّفِينَةِ ، فَكَيْفَ جَاءَتْ هَذِهِ الْقُبَّعَةُ إِلَى هُنَا ؟ لاَ بُدَّ أَنَّ هُنَاكَ صِبْيَانًا تَسَلَّلُوا إِلَى السَّفِينَةِ فِي غَفْلَةٍ مِنَّا وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ أَحَدٌ .

وَتَرَاجَعَ الْبَحَّارُ عَنِ السُّلَّمِ ، وَرَفَعَ الْبَحَّارُ سَلاَمَةُ الْمِصْبَاحَ

إلى أعلى ، وأخذا يتطلّعان حولهما بعيون باحثة ، ولم يكن هناك شيء غير عادي ظاهر أمامهما . وبعد أن بحثا بين الصناديق القريبة منهما ولم يجدا شيئاً بدآ يعودان من حيث أتيا .

وفي تلك اللحظة اندفع أحد الفئران من جحر إلى جحر آخر وقد أزعجته حركات البحارين وأصواتهما ، وفي أثناء اندفاعه جرى فوق جسم عزة الممتد على الأرض ، فأطلقت الفتاة صرخة رعب وهبّت واقفة على قدميها ، ونهض طريف أيضاً ، فقد انكشف أمرهما . وبعد ثوان قليلة قبض عليهما سلامة وزميله ، وأمسكاهما بأيد خشنة قاسية ، وهزاهما هزاً عنيفاً زاد الرعب في قلوبهما . . وصاح سلامة ، لتعرض أمرهما على الربان . إنهما اثنان . هيا إلى السطح . ناد الربان يا زميلي ليتسلّم الصبيين عند ارتقائهما السلّم إلى سطح

فاطلقت الفتاة صرخة رعب ، وهبت واقفة ...

السَّفينةِ .

وبعْدَ خَمْسِ دقائقَ كانَ الطفلانِ واقفَيْنِ أمامَ الرُّبَّانِ ، فلمَّا رآهما استَشاطَ غَضَباً ، واحْمَرَّتْ عَيْناهُ ، وحضَر بَعْضُ البحّارةِ وأمْسَك واحِدٌ مِنهم طَرِيفاً ، وأمسَك آخرُ عزَّةَ . صرَخ الرُّبَّانُ فيهما :

— تَكَلَّما أيُّها الشَّقيانِ . ماذَا تَصْنَعانِ عَلَى سفينتى ؟

نَظَرَ طَرِيفٌ حَوْلَه بسُرْعةٍ ، فَرأى خَمْسةً من الرجالِ يَبْدُو عليْهِم أنَّهُم مِنْ وُجُوهِ النّاسِ ، يَقِفُون خَلْفَ الرُّبَّانِ ، ثُمَّ نظرَ نظْرةً أُخْرَى ، فَرَأى أنَّ الأرضَ قدِ اخْتَفَتْ وَأنَّ الماءَ يُحيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانبٍ . وزمْجَرَ الرُّبَّانُ ثانيةً :

— أَجِبْ عَنْ سُؤالى وَإلَّا أمَرْتُ البَحَّارةَ أَنْ يجلِدُوكَ ..!! مَاذَا ؟ ! أَلَسْتَ أنْتَ نَفْسَ الغُلامِ الَّذِى طَالَمَا طَلَبَ مِنِّى أنْ أصحبَه على السفينةِ ؟ ؟ ! !

ثُمَّ نظرَ بدِقَّةٍ إلى الصَّبيِّ الآخرِ وقالَ :

— والفتاةُ أيضاً مرتديةٌ ملابسَ الصِّبْيانِ ! !

وهَرَشَ الرُّبَّانُ رأسَه فى حَيْرةٍ ، ثُمَّ التفتَ إلَى أحَدِ السَّادةِ الَّذِينَ يَقِفُونَ خَلْفَه وقالَ :

— هَذِهِ مُشْكِلَةٌ صغيرةٌ يا سيدِى ! — وكانَ يُخَاطِبُ عادِلاً أحَدَ السادةِ الخمْسةِ الْواقِفِينَ — هَذانِ الصَّغِيرَانِ هُمَا ابْنَا أخٍ لِرَجُلٍ مُحْتَرمٍ وإنْ يَكُنْ قَاسِياً . .

فَقَالَ عَادِلٌ :

— حَسَناً ! ! إننا مُضْطَرُّونَ لاصْطِحَابِهما مَعَنَا إلَى الشرْقِ الأَقْصَى ، فإنَّنَا لَنْ نَعُودَ ثانِيَةً لِنُنْزِلَ طِفْلَيْنِ هَارِبَيْنِ .

ثُمَّ التفتَ إلَى طريفٍ وَقَالَ مُتَسَائِلاً :

— مَا مَعْنَى هَذَا ؟ ! ولماذَا هَرَبْتُما عَلَى سَفِينَتِى ؟ !

وَكان وَجْهُ عادِلٍ جَادًّا ، وَلَكِنه لَمْ يَكُنْ قَاسِياً . فَأَجَابَ

طَرِيفٌ بِشَجَاعَةٍ :

— لَقَدْ هَرَبْنَا لأنَّ عَمَّنا رَجلٌ فظٌّ ، قاسِي القَلْبِ ، يضربُنا دَائِما . وَهَرَبْنَا كَذَلِكَ لِأَنَّنَا عِنْدَ مَا علِمْنَا أنَّكُم ذَاهِبُون لِلْبَحْثِ عن الكَنْزِ وَجَدْنَا أنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ حَبِيبٌ ، يُحِبُّ كُلُّ إنسَانٍ أنْ يُغَامِرَ من أجلِه .

فَصَاحَ عَادِلٌ وقَدْ تقطَّبَ جَبِينُه :

— كَنْزٌ !!! مَنِ الَّذِى قَالَ لَكُما إنَّنا ذَاهِبُون لِلْبَحْثِ عَنْ كَنْزٍ ؟ !!

فَقَالَ طَرِيفٌ :

— لقدْ أخبرنى سَالمٌ السَّاقِي .

وعندَ مَا لَمحَ تَعْبِيرَ الْغضَبِ الَّذِى ظَهرَ عَلَى وَجْهِ عَادِلٍ أسرَعَ قائلا :

— إنَّ الأمرَ ليْسَ سِرًّا .فكُلُّ النَّاسِ فى النَّغْرِ يَعْلَمُ أن

السَّفينَةَ زَهْرَةَ البحارِ فِي طَرِيقِها لِلْبَحْثِ عَنِ السَّفينةِ المفْقُودةِ الَّتِي كانَتْ تحملُ الْكنزَ ..

فَدَارَ عَادِلٌ حوْلَ نفسِه وَهُوَ يَصْخَبُ وَيلْعَنُ ، ووَاجَهَ الرُّبَّانَ وباقِيَ السَّادةِ الَّذِينَ كانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَه وقَالَ :

— لقَدْ سمِعتُم مَا قَالَهُ هَذَا الصَّبِيُّ . وَقَدْ فعلْتُ مَا فِي طَاقتِي لِيَظلَّ أمرُ هَذه الرِّحْلةِ سِرًّا . لَمْ أُخبِرْ أحدًا عَنْ خُطَطِنا سِوَى الموْجُودين الآنَ على ظَهْرِ السفينةِ ، وَمنَ الوَاضِحِ أنَّ أحَدَكم هُوَ الذِى أفْشَى السِّرَّ ، وَإلا فمِنْ أينَ عرفَ هَذَانِ الطفلان أمْرَ السفينةِ المفقُودَةِ ؟ !

وأدَار عادلٌ عينَيْه فِي الموْجُودِين ثُمَّ اسْتَطْرَدَ قائلا :

— إنَّنى لنْ أُحاولَ معرفةَ اسم مَنْ أفشَى السِّرَّ ، فقَدْ وقعَ المحْظُورُ ، وَلَنْ نَجْنِيَ شَيْئًا مِنْ وَرَاء اخْتِلَافِنا . والَّذِى لَا شَكَّ فيه أنهُ سَتَنْطَلِقُ خَلْفَنا جَمَاعةٌ مِنْ أحطِّ البَحّارةِ والقراصِنَة ،

وقبلَ أنْ يُقدَّرَ لنا أنْ نَعُودَ إلى الوَطَنِ سَنُضْطَرُّ إلَى القِتالِ إنقاذاً لأرواحِنا .

والتفتَ عادِلٌ ثانِيَةً للطِّفلين ، وَظَلَّ ينظرُ إليْهِما بِضْعَ لَحَظاتٍ فِي صَمْت ثُمَّ قَالَ :

— أظنُّ أنكما ستجدانِ أشياء تَشُوقُكما قَبْل أنْ تنتهِيَ هَذِهِ الرِّحلةُ . أما أنتِ أيَّتُهَا الْفَتَاةُ الصَّغيرةُ فَلَيْسَ عَلَى سَفِينتِنا أىُّ نوْعٍ مِنْ ملابسِ النِّساء ، فعَلَيْكِ استعمالَ ملابسِ الصِّبْيانِ التى تَرْتَدِينها . وَالآنَ انْصَرِفا . لقد عامَلْتُكُما بِرِفْقٍ لأنكما أخبرْتُمانى بأنْباءٍ هَامَّةٍ ستجْعَلُنِي آخُذَ حِذْرى . ولكنْ علَيْكُما أنْ تَكُونَا مُؤَدَّبَيْنِ وَإلاَّ فستَجِدَانِ أننِي أستطيعُ استِعْمالَ الْعَصَا أحْسَنَ مِمَّا كانَ يستعْمِلُها عمُّكما القاسِى .

٢

كَانَ سُرورُ الطِّفْلَيْنِ عَظِيمًا لإفلاتِهما بهذهِ السُّهولةِ ، وَسَرْعَانَ مَا أَصْبَحَا صَدِيقَيْنِ لكلٍّ مَنْ عَلَى السَّفينةِ ، وكانَ أَحَبَّ أصدقائِهما إليهما بحارٌ عَجوزٌ يُدْعَى شعْبَانَ وابنَ أُخْتِ عادلٍ واسمُه نبيلٌ . وأثْبَتَ الطِّفلان أنَّهُمَا نَافِعانِ ، فأَخَذَا يُسَاعِدانِ الطَّاهِيَ والبحّارةَ ، وعندَما كانَ العملُ ينْتَهِي كانَ شعْبَانُ العجوزُ يقصُّ عليهما القصصَ والحكاياتِ عن البحرِ والجنياتِ .

ومرَّ أسْبُوعَانِ كانَتِ الرياحُ فِيهما موانيةً ، فانْدَفَعَتْ زَهْرةُ البحارِ تَشُقُّ الماءَ مُسْرِعَةً نحوَ هَدَفِهَا . وفى صباحِ أحدِ الأيامِ صَعِدَ الطفلانِ إلى سطحِ السفينةِ ، فوجدا عادلًا والرُّبَّانَ وَبَاقِيَ الْجَماعةِ يُحَدِّقُونَ بانْتِبَاهٍ شَدِيدٍ نحوَ نُقْطَةٍ بَعِيدةٍ فى البحرِ خَلْفَهم ، فسألتْ عَزَّةُ نبيلًا :

— مَاذَا حَدَثَ ؟ لماذا يُحَدِّقُ الجميعُ بأنظارِهم فِي البَحْرِ هَكَذَا ؟ !

فأجابَهَا نبيلٌ :

— لِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَقْفُو أَثَرَنَا . هَلْ تَرَيْنَ تِلْكَ البُقْعَةَ البَيْضاء الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَتَرَاءى فى الأُفُقِ ؟ إنَّها الشِّراعُ الرئيسىُّ لإحْدَى السُّفُنِ ، وقد ظَلَّتْ هذه السفينةُ تتبعُنَا مُنْذُ ثلاثةِ أيام ولكنها لم تقتربْ منا إلا فى هَذا اليوْمِ ، وَعَادِلٌ يُقْسِمُ أنَّه يعرفُ تلكَ السفينةَ مِنْ هيئتِها ، وأنّها لَا بُدَّ تَتْبَعُهُمْ لِتَعْرِفَ إلى أَيْنَ نحنُ ذَاهِبُونَ . وَقدْ قرَّرَ أنْ يَلْتَحِمَ مَعَهَا فى قتالٍ إذا استمرَّتْ تَتْبَعُنَا .

فسأله طريفٌ :

— هَلْ تَعْنِي أنَّهُ سَيَكونُ هُناكَ قِتالٌ وحربٌ ؟ ؟

فابْتَسم نبيلٌ وَقالَ :

— هَذَا هُوَ مَا أَعْنِيهِ ، فَإِنَّ فِكْرَةَ عَادِلٍ هِيَ أَنَّه إِذَا كَانَتْ هَذِهِ السَّفِينَةُ تَتْبَعُنَا بِقَصْدِ الاستيلاءِ عَلَى الكَنْزِ مِنَّا ، فإِنَّ فُرْصَتَنَا للحُصُولِ على الكَنْزِ والعَوْدَةِ بِهِ إلى الوَطَنِ فى سَلَامٍ هِيَ أَنْ نُحَطِّمَ سَارِيَاتِهَا الرَّئِيسيَّةَ بِمِدْفِعِنَا الضَّخْمِ ، وبِذَلِكَ نَعُوقُهم عَنْ الاسْتِمْرَارِ فى مُطارَدَتِنَا .

مَرَّ الْيَوْمُ وَلَمْ يَنْشَبْ قِتَالٌ ، واخْتَفَى شِرَاعُ السَّفِينَةِ المَطارِدةِ ، وَلَكِنَّ البَحَّارَ الَّذِى يُرَاقِبُ البحْرَ مِنْ أَعْلَى الصَّارِى الرَّئِيسىِّ كَانَ لايزالُ يستطيعُ رُؤْيَةَ السَّفِينةِ وَهِيَ تَتْبعُهم . وَفى الْيَوْمِ التَّالِى كَانَتِ السَّفينةُ المجْهولةُ ما زَالَتْ تُطارِدُهُمْ ، وكذلِك كانَ الْحَالُ فِى اليوْمِ الثَّالِثِ ، فَأَقْسَمَ عَادِلٌ أَنْ يُنْهِيَ المطاردةَ ، فأمرَ الرُّبَّانَ بتغيِيرِ وجْهةِ السفينةِ زهرةِ البحارِ ، وَأَنْ يَرْجِعَ وينطلقَ نَحْوَ السَّفينةِ المُطاردةِ . وبعدَ أَنْ مضتْ سَاعةٌ أَصْبحتِ السفينةُ المجهولةُ عَلَى مَرْمَى البَصَرِ مِنْ زَهْرَةِ

البحارِ . وكانتْ سفينةً طويلةً منخفضةً ذاتَ هيكلٍ أسودَ وأشرعةٍ كثيرةٍ . وَفجأةً صاحَ طَريفٌ ـ وهو يعرِفُ أكثرَ السفنِ التى تجىء إلى الميناءِ لأنه كان دائم التَّرَدُّدِ عليه :

— إنّني أَعْرِفُ هذه السفينةَ ! ! إنَّها الطائرُ الأسودُ ! ! وَيَمْلِكُها كُوهِينُ اليهُودىُّ ! !

وَسَمِعه عادلٌ ، فالتفتَ إلى عمادٍ قائلا :

— هَلْ سَمِعْتَ ذَلِكَ ؟ ؟ إنَّ الغُلامَ يَقُولُ إنَّ تِلْكَ السَّفِينةَ هِيَ "الطَّائِرُ الأَسْوَدُ وَيَقُودُها كُوهِينُ .

فَأَجابَ عمادٌ :

— لقَدْ سَمِعْتُه ، وَهُوَ عَلَى صَوَابٍ ! يا لَلْأَسَفِ ! !

فَقَالَ نبيلٌ :

— لِمَاذَا ؟ ! هل كُوهِينُ ذُو سُمْعَةٍ سيئةٍ ؟

فَأَجابَ عِمَادٌ آسِفًا :

— نَعَمْ . إنَّ له سُمْعَةً سَيِّئَةً جدًّا ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ كُوهِينَ الأحمرَ . وَلَوْ أَنَّهُ يَتَظَاهَرُ بأنَّ الطائرَ الأسودَ سَفِينةٌ تجاريةٌ مُسَالِمةٌ ، فَإِن الْكثِيرِين يُؤكِّدُونَ أنَّه يُبْحِرُ تحتَ عَلَمِ القراصنةِ الأسودِ ذى الْجُمْجُمَةِ والعَظْمَتَيْنِ . . . !!! انْظُروا .. إن قائدَ تلك السفينةِ يَنْوِى شرًّا .

وكانَتِ السفينةُ الطائرُ الأسودُ عَلَى مَرْمَى المدَافِعِ مِنْ زَهْرةِ البحارِ فى تِلْكَ اللَّحْظَةِ . وَاسْتَرْعَى انتباهَ عمادٍ كِمِّيَّةٌ مِنَ الدُّخَانِ الأَبيضِ انبعثَتْ من الطائرِ الأسودِ ، وَبَعْدَ ثوانٍ سقطتْ قذيفةٌ مِدفعٍ على بُعْدِ مائةِ مترٍ من زهْرةِ البحار . فأسْرعَ عِمادٌ إلى تغْييرِ اتِّجاهِ زهْرةِ البحارِ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الطائرِ الأسودِ ؛ لأنه لم يكنْ فى نِيَّتِهِ ولا فى نِيَّةِ عادلٍ أنْ يشْتَبِكَا فى مَعْرَكةٍ بالْمدَافِعِ مع القُرصَانِ ، ولَكِنْ كَانَ أملُهُما أنْ يَسْتطيعَا إصابتَه مِنْ بَعِيدٍ بمدفعِهم الضخمِ الذى يقْبَعُ فى وسطِ

السفينةِ ثم الفِرارَ تارِكِينَ عَدُوَّهم يحاولُ إصلاح سفينتِه . فيتعطَّلُ عَنِ السَّفرِ واقْتِفاءِ أثر زَهْرَةِ البحارِ .

وَفَجْأَةَ انبعثَ دَوِيٌّ رهيبٌ ، فقد استدارَتْ السفينة الَّتى لم يَعُدْ هناك شكٌّ فى أنها الطائرُ الأسودُ تحت قيادةِ كُوهينَ اليَهُودىِّ الأحْمَرِ ، وَأَطْلقَتْ جَمِيعَ مدافِعِها الجَانِبيّةِ ، وَفى نَفْسِ اللَّحْظةِ ارْتفعَ عَلَى الصَّارِى عَلَمٌ أسودُ كبيرٌ تُزَيِّنُه جُمْجُمَةٌ وعظمتانِ مُتَقَاطِعتان ، أخذ يرفرفُ على الصَّارِى الرئيسىِّ ، ولـكنَّ المسافةَ بيْن السفينتيْن كانت واسعةً ، فسقطتْ قذائفُ القُرْصَانِ فى الماءِ .

وَأصْدر عِمَادٌ أمْرًا ، فقَدْ جاء دَوْرُ زَهرةِ البحارِ لِتَرُدَّ العدوانَ ، فدارتْ حَوْلَ نفسِها حَتَّى أصْبَحَتْ فُوَّهَةُ مِدفعِها الضَّخْمِ فى مُوَاجهةِ الطائرِ الأسْودِ . وشاهَدَ الطِّفلانِ شَعْبَانَ العجوزَ وَهو يُطلقُ الْمِدْفعَ فتنبعِثُ كميةٌ ضخمةٌ من الدُّخانِ

وَاللَّهَبِ من ماسورَتِه ، و تبعَها قَصْفٌ شديدٌ ، واهتزَّتْ زهرةُ البحارِ كلُّها بسبب قُوَّة الطلقة .

وَكانَ الطِّفْلانِ يَنْظُرَانِ فى اتِّجاهِ الطائرِ الأسودِ ، فرأَيا ثقباً ضَخْماً مُسْتَدِيراً يَظْهَرُ فَجْأَةً فِي أَحَدِ أَشْرِعَتِها الْبَيْضاء .

فتَمْتَمَ شعبانُ العجوزُ باستياءٍ وحسرةٍ :

— لقد أخطأتِ الصَّارِيَ الرئيسيَّ بمسافةٍ صغيرةٍ !

وفى تِلْكَ الأثناءِ كانَ المساعِدُون عَلَى الْمِدْفع قد أعادُوا شَحْنَه بقَذِيفةٍ أُخْرَى ، وَتابَعَتْ زَهْرةُ البحَارِ طريقَها ولكنَّ المسافَةَ بيْنَ السفينتيْنِ ازدادَتْ قِصَرًا . وأخذتْ قذائفُ القُرصانِ تتساقطُ بالقُربِ من زهْرةِ البحارِ عَلَى صورةٍ خطيرةٍ ، وتَساءَلَ عادلٌ :

— أَلا يمكنُك أن تُضيفَ أشرعةً أخرى يا عِمادُ ، إذ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أنَّهُمْ لا يَمْلِكُون مِدفعاً ضَخْماً مثلَ مِدْفَعِنا . فإذا

ابتعدْنا عَنْ مَرْمَى مَدَافِعِهِم الصغيرةِ أمكننا أن نصيبَهم دُونَ أن يُصِيبُونا .

فقال عمادٌ :

— إنَّ السفينةَ تسيرُ بكلِّ أَسْرِعتِها . إنَّنَا نقومُ بلُعْبَةٍ خَطيرةٍ ، فلو أَخْفَقَ شعبانُ فى إصابةِ الطائرِ الأَسودِ فى المرةِ القادمةِ فإننا سنصبحُ تحتَ رحمةِ مدافعِها ، وسنجدُ كوهينَ الأَحمرَ وعصابتَه من السَّفَّاكِينَ ينقضُّونَ علينَا قبلَ أنْ نعرفَ ماذا حَدَثَ ! آه ! انْظُرْ .

إنَّهُ فِى تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَصَابَتْ إحْدَى قذائفِ القُرصانِ حاجزَ زهرةِ البحارِ فتحَطَّمَ جُزْءٌ منه . فانبعثَتْ صيْحَاتٌ وهتَافَاتٌ من القراصنةِ الذين شاهدوا قذيفتَهم تُصِيبُ الهدفَ . وَصَاحَ عِمادٌ يدعو شَعْبَانَ للإسْراعِ بإطلاقِ مِدْفعِه الضخمِ خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهم قذائفُ أخرى مِنْ مِدْفَعِ

القُرصانِ . فأجابَ شَعْبان :

— حَسَنًا ! حَسَنًا ! هأنذا أستَعِدُّ .

وصاحَ عادلٌ مُشجِّعا :

— صَوِّبْ بِدِقَّةٍ ، فإذا أَصَبْتَها ، فَلَكَ خَمْسةُ جنيهاتٍ ، وَلِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ مُسَاعِدِيك عَلَى الْمِدْفع جُنَيهٌ .

وعندئذ أصْدَرَ عمادٌ أمْراً إلى قَائِدِ الدَّفَّةِ ، وَعِنْدَئِذٍ دَارَتْ زَهرةُ البحارِ مرةً أخرى حَوْلَ نفسِها حَتَّى أصبحتْ فُوَّهَةُ مِدْفعِها الضخمِ فى مواجهةِ سفينةِ العَدُوِّ التى تقتربُ بسرعةٍ . وأخذ طريفٌ وعزَّةُ يراقبان صديقَهما شعبانَ الْعَجُوزَ وقد حبَسَا أنفاسَهما . وكانتِ السفينةُ تقتربُ أكثرَ فأكثرَ وبدا كأنَّ شعبانَ لن يُطْلِقَ مِدْفَعَه وأمسكتْ عزَّةُ بذراعِ طريفٍ عندما أشارَ البحارُ العجوزُ بيَدِه ، وفى الحالِ سَمِعَ الجميعُ زئيرَ الْمِدْفعِ الضخمِ ، وَكَانَتْ كُلُّ الْعُيُونِ مُرَكَّزَةً عَلَى الطَّائِرِ الأَسْوَدِ .

وَفَجْأَةً تَعَالَتْ صَيْحَاتُ الفرحِ وَالْهُتَافِ مِنْ جَمِيعِ الْحَنَاجِرِ ، فقَدْ أَصَابَتْ الْقَذِيفَةُ الصَّارِيَ الرَّئِيسِيَّ لِلطَّائِرِ الأَسْوَدِ ، فانْهارتْ الأشرعةُ المثبتة إليه عَلَى سَطْحِ السَّفِينةِ . وَقَدْ تمزقتْ شرَّ مُمَزَّقٍ .

وَارْتَفَعَتْ صيْحاتُ الغضبِ وَالْحَنَقِ مِنَ القَراصنـــةِ ، واستمرتْ مدافعُهم فى قذفِ قَنَابِلِها وَتَوجيهِها إلى زهْرةِ البحارِ ، وأخذتْ زهرةُ البحارِ تبتعدُ عن عَدُوِّها الْمُصَابِ ، وئيداً وئيداً ! وفى مدى سَاعَتَيْنِ كانَتِ السفينةُ الطائرُ الأسودُ قدْ اخْتفتْ خَلْفَ الأُفُقِ . وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ تَابَعتْ زهرةُ الْبِحارِ رِحْلَتَها ، وَقَدْ تخلَّصَتْ من مُطَارِدِها الْخَطِيرِ .

وَمَرَّتْ الأَيَّامُ الثلاثةُ التَّاليةُ عَادِيَّةً ، وَقَدِ اخْتَفتِ الطائرُ الأسودُ ، وَكَفَّتْ عَنِ الْمُطَارَدَةِ . أما بَحَّارَةُ زهرةِ البحارِ

وكانت العيون مركزة على الطـــائر الاسود ...

فإنّهم أخذوا يُهنِّئُونَ بَعْضَهم بَعْضاً . بِقُرْبِ وُصُولِهِم إلى هَدَفِهِم دُونَ متاعبَ أُخْرَى . وَلَمَّا جاء مَسَاءُ اليَوْمِ الثالثِ هَبَطتِ الريحُ ، وَتَجَمَّعتْ سُحُبٌ داكِنةٌ هائلةٌ فِي الأُفُقِ ، ونَظَرَ عِمادٌ بِقَلَقٍ إلَى السَّماء التى تُنْذِرُ بالعاصفـــةِ ، وأخذتِ السُّحُبُ تَتَجَمَّعُ وترتفعُ وازْدَادتْ حرارةُ الجوِّ حتى أصْبَحَ خانِقا .

صَدَرَتِ الأوامِرُ للبحَّارةِ بِطَيِّ الأَشرِعةِ ، فَسَارَتْ زَهْرةُ البِحَارِ فَوْقَ مِياهٍ سَاكِنـــةٍ كَأنّها الزَّيْتُ ، وَقَدْ تَعرَّتْ صَوارِيها . ثُمَّ مَرَّتْ ساعةٌ أخرى دُونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ والسُّكونُ كانَ يَسُودُ الجَوَّ . وَكَانَتِ الشمسُ تختفى فى الغربِ وَقَدْ بَعَثَتْ أشِعَّتَها الحَمْراءَ المُتَوهِّجَةَ ، وَالسُّحُبُ الدَّاكِنةُ تَجَمَّعَتْ وَكَوَّنَتْ شَبَحاً أَشْبَهَ بالمِظلةِ فوقَ البحرِ .

اقْتَرَبَ شَعْبانُ العَجُوزُ مِنَ الولَدَيْنِ وَقَالَ لَهُمَا :

يَحْسُنُ بكما أنْ تَهْبِطَا إلى جَوْفِ السفينةِ ، فعَمَّا قريبٍ ستَهُبُّ عاصفةٌ شَدِيدةٌ ، فأنا أتوقَّعُ ذَلِكَ لأنّى خَبيرٌ بالبَحْرِ ، واعلما أنَّ العاصِفةَ تَهُبُّ فَجْأةً ولا يَسْبِقُها نَذِيرٌ فِى كثيرٍ من الأحْيانِ . .

آه ! أَنْصِتَا !

فبَيْنَما كانَ شَعْبانُ يتكلَّمُ طَرَقَ سَمْعَ الولدينِ صَوْتُ أنينٍ خَافتٍ ، ثمَّ إذَا بِهِما يَرَيانِ خَطًّا من الزَّبَدِ الأبيضِ يمتدُّ من الأفقِ ويقتربُ من السفينةِ بسرعةٍ هائلةٍ لم تترك لَهُمَا فرصةً لكى يَتَمَكَّنَا من النزولِ إلى جَوْفِ السفينةِ . وأخَذَ صوتُ العاصفةِ المقتربةِ يَعْلُو وَيَعْلُو حَتَّى تَحَوَّلَ الأنينُ الخافتُ إلى قَصْفٍ شديدٍ ! وبعد لحظةٍ ارتطمَت الرياحُ والأمواجُ بالسفينة العاجزةِ فى زَئِيرٍ يُصِمُّ الآذانَ . واندفعتْ السفينةُ زهرةُ البحارِ إلى الأمامِ ، واكْتَسَحَتْ مَوْجَةٌ عاتيةٌ سَطْحَ السفينةِ ،

وكادتْ تحملُ عزَّةَ معَهَا إلى عرضِ البحرِ لو لم يُمْسِكْها شَعبانُ العجوزُ بقوةٍ . ولمْ يَكن الولدانِ قد سَمِعَا فى حياتِهما مثلَ هذِهِ الرُّعودِ المُفزعةِ ، وكانَتِ الرِّياحُ تَعْوِى وتَصْفِرُ حتى خُيِّلَ إليهما أن الصَّوارِىَ ستَسْقطُ مُتحطِّمَةً .

أخذت السفينةُ تتعثَّرُ وتترنَّحُ أمام قسوةِ العاصفةِ ، وأخذَتْ ألواحُها الخشبيةُ تئنُّ تحتَ لطماتِ الأمواجِ الهائلةِ ، وفى ذلك الوقتِ كانَ الظَّلامُ قدْ أرْخَى سُدُولَه واستطاعَ شعبانُ العجوزُ بصُعُوبَةٍ كبيرةٍ أنْ يَنْزِلَ مَعَ طَريفٍ وعزَّة إلى جَوْفِ السفينةِ . وَبَدأَتْ لَيْلةٌ رهيبةٌ مليئةٌ بالأخْطَارِ ، وَبَدَا كأنَّ العاصفةَ تشتَدُّ عُنفاً كلَّمَا مرَّ الوقتُ ، وكانَ الولدانِ فى جَوْفِ السفينةِ يستطيعانِ سَماعَ صَوْتِ ارْتطامِ الأمواجِ الجَبَّارةِ التى تَضْرِبُ جَنَباتِ السفينةِ وتعْلُو سطحَها .

لمْ يُسمحْ لِأَحَدٍ بالبقاءِ عَلَى السَّطْحِ سِوَى الرُّبَّانِ والبحَّارةِ ،

وأخذت السفينةُ تَهْتَزُّ أمامَ عُنْفِ الرياحِ والأمواجِ وفَجْأةً سُمِعَ صوتٌ عظيمٌ عَلَى سطحِ السفينةِ تَبِعَهُ صوتُ عمادٍ وهو يُصْدِرُ بعضَ الأوامرِ ، وَصَوْتُ أقدامٍ كثيرةٍ مُسْرِعةٍ . وَهَمَسَتْ عزَّةُ وهى تَتعلَّقُ بِذِرَاعِ طريفٍ :

— ماذَا حَدَثَ ؟ ماذا ؟

فأجابَها طَرِيفٌ وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَجْعلَ صَوْتَه يَبْدُو طَبِيعِيًّا :

— لَقَدْ تَحَطَّمَ أَحَدُ الصَّوارِى ، فانْتَظِرِى هُنَا وَسَأَصْعَدُ إِلَى سَطْحِ السَّفينةِ لأَرَى ما يَحْدُث .

وَتسلَّلَ طريفٌ صَاعِداً إِلَى سَطحِ السَّفينةِ وَأَطَلَّ برأْسِه ، وَكانَ الظلامُ دَامِساً ، ولكن بَعدَ لَحَظَاتٍ تعوَّدَتْ عينَاهُ الرُّؤْيَةَ ، فَرَأَى حُطَامَ الصارِى الرئيسىِّ مُلْقَى وَسَطَ السفينةِ وَأَشْبَاحُ البحارةِ وَهُمْ يَعْملون بِجِدٍّ لِكَىْ يُخَلِّصُوا السَّفينةَ مِنْ هَذَا الحُطامِ . وفى الوقتِ نفْسِه كانتِ الأمْواجُ ما زالتْ

تكتسحُ سَطْحَ السفينةِ اكْتِساحاً . وَبَعْدَ جُهْدٍ شَدِيدٍ استطاعَ البحّارةُ أنْ يَتَخَلَّصُوا مِنَ الصَّارِى المُحَطَّمِ وإعادةِ الاتِّزَانِ للسفينةِ .

وَهكَذا مَرَّتْ تِلكَ الليلةُ الرهيبةُ وَقَدْ ظَنَّ الرُّكابُ فِي جَوْفِ السَّفينةِ أَكْثَرَ مِنْ مرَّةٍ أَنَّ السَّفينةَ غَارِقةٌ لَا مَحالةَ . إِلَّا أَنَّهُ عندَ ما لَاحَتْ تَبَاشِيرُ الْفَجْرِ كانَتْ زَهرةُ البحارِ مَازَالتْ طَافِيةً عَلَى سَطحِ المُحِيطِ ، ولكنَّها كانَتْ تَخْتَلِفُ عَن تِلكَ السَّفِينةِ الجميلةِ التى بَدَأْتِ الرِّحلَةَ ، فقَدْ كانَ هُناكَ شقٌّ فِي جانِبِها ، وتَدفَّقَتْ المياهُ مِنه بشِدَّةٍ ، واحْتاج الأمرُ لُجهودِ جَمِيعِ البحارةِ ليتخَلَّصُوا مِنَ الماءِ الَّذِى مَلَأَ جَوْفَ السفينةِ لئَلَّا تغرَقَ ، مَعَ أن العَاصِفةَ كانَتْ قَدْ هَدَأَتْ وَالأمواجَ قد انْخفضَتْ ، وَبدَتِ السَّفينةُ فِي حالٍ سَيِّئَةٍ من أثرِ الأمواجِ المُتدافِعةِ التى كانَتْ تَلْطِمُ جنباتِها وَسَطحَها مِنْ غَيْرِ رفقٍ

ولا هوادةٍ ، وأخذ الركابُ والبحارةُ يتناوَبُون العملَ عَلَى المِضَخَّاتِ ليتخَلَّصُوا مِنَ الماءِ المُتَدَفِّقِ إلى داخِلِ السَّفِينةِ طُولَ اليومِ وطِوَالَ الليلةِ التاليةِ ، وأخذَ نَجَّارُ السَّفينةِ يَبْذُلُ كُلَّ جهدِهِ لِيُصْلِحَ إصاباتِ السفينةِ ...

أشرقَ فَجْرُ يومٍ جديدٍ وما زالَ الماءُ يتدفَّقُ إلى جوفِ السفينةِ ، والبحارةُ ما يزالون يعملونَ بالمضَخَّاتِ ، حَتَّى كادَ الجميعُ يتسرَّبُ إلى نُفُوسِهم اليأسُ . وسَمِعَ طريفٌ عادلًا يَقُولُ لابنِ أختِهِ :

— أَخْشَى أن تكونَ هذه آخرَ رحلةٍ للسفينةِ زهرةِ البحار ، فقَدْ أَمَرَ عِمادٌ بحَّارَتَهُ أن يضَعُوا الطَّعَامَ والماءَ فى قواربِ النجاةِ ، وَمِن حُسْنِ الحظِ أَنَّ الأرضَ لَيسَتْ بعيدة عنا الآنَ ، وإذا استمرَّ الجوُّ صَحْوًا فقد نَنْجُو بأرْوَاحِنا مِنْ هذِهِ الرِّحْلةِ . وَهَكذا مرَّتْ فَتْرةُ الصباحِ ، وكُلَّما مرَّتْ

ساعةُ غاصَتِ السفينةُ بَعْضَ الشيء .

وَبَعْدَ لحظاتٍ كانَ الجميعُ يَعْملون عَلَى المِضَخَّاتِ ، وَلـكِنَّ الماء كَانَ يَغْلِبُهُمْ ، فَالذى يَنْزِحُونه منَ السفينةِ أقلُّ مِنَ الذى يَنْدَفِعُ إليها . . وقدْ نالَ منهم التَّعبُ كلَّ منالٍ ، وكانَ عمادٌ عَلَى وَشْكِ أن يُصدِرَ الأوامرَ لإنزالِ قَوَاربِ النَّجاةِ عِنْد ما صَاحَ الذى يراقبُ البحرَ من أعلى الصارِى :

— شِرَاعٌ فى الأُفُقِ .

وَمَثَتْ هذه الصَّيحَةُ الأَمَلَ فى نفُوسِ البَحَّارةِ المُجْهَدِين . فانْدَفَعُوا يَنْزِحُون الماء بكلِّ قُوتِهم حتَّى تَظَلَّ السفينةُ طافيةً ريْثَمَا تَصِلُ النجدةُ ...

وبعدَ قليلٍ بدَتْ أشرِعَةُ السفينةِ القادمةِ فى الأُفُقِ ، ولم يَمْضِ أكْثرُ مِنْ نِصْفِ ساعةٍ حَتَّى كانَ الواقِفُون على سَطحِ زهرةِ البحارِ يستطيعون رُؤْيَةَ السفينةِ القادمةِ كلِّها .

وبالرغم من بُعْدِ المسافةِ بَدَتْ السفينةُ مألوفةً لَدَى طريفٍ .

وفَجْأَةً انبعثَ صوتُ عمادِ الخشنُ :

— ياللسَّماء !!! إنَّهَا الطائرُ الأَسْوَدُ ، وعليْها كُوهِينُ اليهوديُّ الأحمرُ وعِصابتُه من مَصَّاصِي الدِّماء .

كَمْ أتمنَّى لَوْ أنَّنَا لم نَرَ أَشْرِعَتَه أبداً .

لقدْ كانَ خيْرًا لنا أن نَكُونَ فى قوارِبنا الصغيرةِ تحتَ رحمةِ الأمواجِ من أن نَكُونَ أَسْرَى فِي يَدِ اليهوديِّ الأحمرِ .

وبعدَ ساعة كانَ عادلٌ وعِمَادٌ وجميعُ مَنْ كانوا على زَهْرة البحار سُجَنَاءَ فِي جَوْفِ سفينةِ القُرْصانِ ، ولمْ يتبقَّ شيءٌ من زَهْرَةِ البحارِ سوى بعضِ الحُطامِ طافياً على سطحِ الماء .

٣

كانَتْ الأيامُ التَّاليَةُ أيَّامًا رَهِيبةً بالنِّسْبةِ لجَمِيعِ مَنْ كانُوا عَلَى سَطْحِ السَّفينةِ زَهْرةِ البحارِ . فَقَدْ ظَلَّ الجَمِيعُ مَسْجُونِينَ مُعْظَمَ الْوَقْتِ فى جوفِ السفينةِ الطائرِ الأسودِ ، ولم يكنْ يُسْمَحُ لَهُمْ بالصعودِ إلى سَطْحِ السفينَةِ إلاَّ فتراتٍ قصيرةً كلَّ يومٍ ، وَفِى خِلالِ تِلكَ الْفَتَرَاتِ كان يَحْرُسُهُمْ فَرِيقٌ مِنَ القراصنةِ المسلَّحين .

أَمَّا طَرِيفٌ وَعزَّةُ فإنَّهُمَا كَانَا يَمْرَحَانِ فِى أَرْجَاءِ السَّفِينَةِ بِلاَ رَقَابَةٍ ؛ لأنهما طِفْلاَنِ صَغِيرَانِ ، وَلِأَنَّ الْخَادِمَ الصَّغِيرَ الْخَاصَّ بِكُوهِينَ الأحمرَ كان مريضا فَحَلاَّ مَحَلَّهُ . وَلَمْ يَمْضِ إلاَّ وَقْتٌ قَصِيرٌ حَتَّى تبيَّنَ لَهُمَا أَنَّ الْحَيَاةَ عَلَى الطائرِ الأسودِ تختلفُ اختلافًا كبيرا عن الحياةِ على زهرةِ البحارِ ، وكان كُوهينُ

رَجُلاً شَرِسًا ، ذَا رَأْسٍ كَبِيرٍ أَحْمَرِ الشَّعْرِ ، وَكَانَ يضربُهُمَا ضَرْبًا مُبَرِّحًا إِذَا لَمْ يُنَفِّذَا أَوَامِرَهُ بسرعةٍ . وَحَذَا بحارتُه حَذْوَهُ ، فقد كانوا قُسَاةً فى معاملةِ الولدَيْنِ يكلفونَهُما أعمالا شاقَّةً ، وَيَضْرِبونَهُما إذا قصَّرا فيما يكلَّفانه منْ أعمالٍ كثيرةٍ متلاحقةٍ ، لاَ تَدَعُ لَهُما فُرْصَةً لِلرَّاحَةِ وَالنَّوْمِ . وَوَدَّ الطِّفْلاَنِ لَوْ أَنَّهُمَا رَجَعَا إلى عَمِّهما ، فإن ضَرْبَهُ لَهُمَا أَهْوَن عَلَيْهِمَا من ضَرْبِ البحارةِ .

وَفِى صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيامِ ظَهَرَ فِى الأُفُقِ خَطٌّ أَزْرَقُ ، وَعَلِمَ الولَدَانِ مِنْ كلامِ القراصنةِ أَنَّها الهِنْدُ الصِّينيةُ . وَبَدَتْ مَظَاهِرُ الْحَمَاسِ عَلَى ظَهْرِ السفينةِ ، وكان كوهينُ قد اسْتَوْلَى عَلَى خَرِيطةِ عادلٍ التى تبيِّنُ مكانَ السفينةِ التى كانت تَحْمِلُ الكنزَ ، وجَنَحَتْ إلَى الشاطِىءِ ، وكانَ يَبْدُو أَنها جَنَحَتْ فِى خليجٍ ضَحْلٍ ، قليلِ الْغَوْرِ ، مُحَاطٍ بغاباتٍ كثيفةٍ .

وَبَيْنَمَا كانتِ السفينةُ تقتربُ من الشاطىء كانت أَعْيُنُ جَمِيعِ مَنْ عَلَى السفينةِ تتطلَّعُ إلى الأمامِ بِاهْتِمامٍ ، وَكُلُّ وَاحدٍ يأْمُلُ أن يكونَ أَوَّلَ من يَرَى الخليجَ وَحُطامَ السفينةِ . وعندما رأَتْ عزَّةُ كُوهِينَ وَهُوَ يُقارِنُ الشَّاطىءَ بخَريطةِ عادلٍ هَمَسَتْ قائلةً :

— يا للعارِ ! لماذا يَسْرِقُ هَؤلاءِ الرِّجالُ كَنْزَنَا ؟ ألاَ نَسْتطيعُ عَمَلَ شيءٍ لِنُوقِفَهم يا طريفُ ؟

فأجابها طريفٌ هَامِساً :

— لاَ تَتَكَلَّمِي بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَإلاَّ سَمِعُوكِ وَلَقَدْ كُنْتُ أُفَكِّرُ فِي كَيْفِيةِ إطْلاَقِ سَرَاحِ عَادِلٍ وَبَاقِي رِفَاقِنَا ، وَرَأَيْتُ أَنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ نَنْتَظِرَ حَتَّى نَصِلَ إِلَى الشاطىء ، فربما أَهْمَلَ القراصنةُ فِي الحراسَةِ عندما يَبْدَءونَ فى الْبَحْثِ عَنِ الكنزِ ، وعندئذ نَسْتغِلُّ نَحْنُ الْفُرْصَةَ .

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتِ الأَرْضُ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى بُعْدِ مِيلٍ وَاحِدٍ ، وَظَهَرَ الْمَدْخَلُ إِلَى الْخَلِيجِ الصغيرِ مِنْ خلالِ الظلالِ القاتمةِ التى تُلْقِيها العابةُ عَلَى الشاطىء ، وَزَمْجَرَ كوهِينُ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ :

— هَذَا هُوَ الْمَكَانُ أيها الأولادُ ! وَسَنَجِدُ هُناكَ ذَهَباً يَجْعَلُ كُلاً مِنَّا غَنِيًّا . قُدِ السفينةَ إلى دَاخِلِ الخليجِ يا سالمُ .

ثم أضاف قائلا :

— مِنَ الْمرجَّحِ أَنَّ السفينةَ تَرْقُدُ تَحْتَ الماء ، وَلِذَلِكَ سَأُعْطِي جُنَيْهاً ذَهَبِيًّا لأوَّلِ رَجُلٍ يَسْتَطِيعُ تَمْيِيزَها .

فَقَابَلَ الْبَحَّارَةُ هَذِهِ الكلماتِ بصيحاتِ الاغْتِباطِ ، وَأَخَذُوا يَعْمَلُونَ بِهِمَّةٍ ولم تَمْضِ ساعةٌ واحدةٌ حَتَّى كانَتِ الطائرُ الأسودُ قد أَلقتْ مراسِيَها فِي الخليجِ ، وأُنزِلَتِ القوارِبَ مُحَمَّلَةً بالرجالِ يفحصُونَ المياهَ وَيُحَدِّقُونَ فى أعماقها

وهم يُحَدِّقون بَحْثاً عن السفينةِ الغارقةِ.

وفى ذَلك الوقتِ كانت عزَّةُ وطريفٌ يَقِفان مَعَ بَعْضِ الرجالِ القلائلِ الذين تَرِكُوا ليَحْرُسُوا السفينةَ وهُمْ يُحدِّقُون نَحْوَ الغابةِ التى تَصِلُ إلَى الشاطىء. وكانَتْ هُناك طُيُورٌ زاهيةُ الألوَانِ تنتقلُ من شجرةٍ إلى أخرى، وكذلك بعضُ الفراشاتِ المُتَعددةِ الألوانِ، وظَهَرَ فى بعضِ الأماكنِ الأخرى مجموعاتٌ رَائِعةٌ من الأَزهارِ وبعضُ الورودِ الاستوائيةِ.

وَقَفَ الولَدَانِ مَسْحورَيْنِ ومَأْخوذَيْنِ برَوْعةِ المَناظِرِ الَّتِي أمامَهُما، فلَمْ يَسبقْ لَهُمَا أَنْ شاهَدَا مِثْلَ هَذِهِ الأشياء. وَبَعْدَ لَحَظاتٍ اجْتَذَبَتْ أنظارَهم حَرَكَةٌ خفيفةٌ بين الأَحْراجِ النامِيةِ بالقربِ مِنَ الماء، وكانَ فِي المكانِ القريبِ منَ الشَّاطئِ أَحَدُ القواربِ وبه ستَّةٌ مِن القراصِنةِ يبحثُون فى الماء الهَادئِ عن السفينةِ الغارقةِ. أمسَكَ طريفٌ بذراعِ عزَّةَ،

فقَدْ ظَهَرَ وجهٌ أَسمَرُ مِنْ بَيْنِ الْأَحراجِ يَتْبَعُهُ ثانٍ وثالثٌ حتَّى بَلغُوا عَشْرةَ وجوهٍ صارمةٍ تُحَدِّقُ فِى القَرَاصِنةِ الْغافلين . وقَبْلَ أنْ يتمكَّنَ أَىٌّ مِن الولَدَيْنِ أنْ يَصْرُخَ مُحَذِّرًا اختفتْ الوجوهُ وانْطلقَتْ من بيْنِ الأَحراجِ مَجْمُوعةٌ من السِّهامِ قَتلَتْ أَرْبَعةً مِنَ القراصِنةِ وجَرَحَتْ الاثنينِ البـاقيَيْن . وارْتفعتْ أصواتُ الغَضَبِ مِنْ كُلِّ ناحيةٍ ، فَقَدْ أَسْرَعَ باقى القَراصنةِ نَحْوَ زملائِهمُ القَتْلَى والجَرْحَى بمُجَرَّدِ أن سَمِعُوا صيحاتِهم ، وأَخَذُوا يُطْلِقُونَ أَسْلِحتَهم الناريةَ نحوَ الأحراجِ ولـكنَّ الهنودَ كانوا قد اختفَوْا . وأَمر كُوهِين رِجالَه بالعوْدةِ إلى السفينةِ خَوْفًا مِنْ أنْ يقَعُوا فِى كمِينٍ آخرَ ، وَوَعَدَهُم بتَدْبيرِ خُطَّةٍ للأَخْذِ بالثأرِ فِى اليوْمِ التَّالى .

وَكَانَ غَضَبُ الْقَرَاصنةِ عَظيما بِسببِ مَقْتَـلِ زملائهم الأربعةِ . وازْدَادَ غضبهم لِعَدمِ توفيقِهم فى العثورِ عَلَى السَّفينةِ

الغارقةِ ، ولذلكَ حرَصَ الولَدَانِ على أنْ يبتعدا عَنْ كُوهينَ ورجالِهِ تلكَ الليلةَ ، ولم يجِدَا الشجاعةَ للظهور من مخبئِهما إلا فى صباحِ اليومِ التالِى بعد أن خَرَجَ أكثرُ القراصنةِ إلى الشاطىءِ ، وقد تسلَّحُوا تسليحاً قوياً ، واستعدُّوا لتأديبِ المهنودِ .

وكانَ الجوُّ فى هذا اليوم حارًّا ، فنامَ مُعْظمُ البحّارةِ الَّذِين تُرِكوا لحراسةِ السفينةِ ولم يَتَنَبَّهْ أَحَدٌ مِنهم لطريفٍ وعزَّةَ . وَكانَ أقربُ مَكانٍ بَيْنَ الشَّاطىءِ والسفينَةِ لا يزيدُ على مائةِ مترٍ . ولما لاحَظَ طَريفٌ أنَّ البحّارةَ يَنْظُرُون فى الاتِّجاهِ المُضادِّ ، هَمَسَ لِعَزَّةَ :

— هَيّا نَسْبَحْ إلَى الشاطىءِ ، فقَدْ ضِقْتُ ذَرْعاً بهذِهِ السَّفينةِ ، ولَعَلَّنا نَسْتَكْشِفُ عَلَى هَذَا الشَّاطىءِ شَيْئاً جَدِيداً .

ورحّبَتْ عَزَّةُ بالفكْرةِ ، وَلَمَّا وَثِقَا مِنْ أنَّ القراصنةَ

غافِلُون عنْهما — انْزَلَقَ الاثْنانِ بهُدوء إلَى الماء — وكانا يُجيدَان السِّباحَةَ . وبعْدَ دَقائقَ قَليلةٍ وصَلا إلَى الشاطىء واخْتَفَيَا فِي الأحراج .

وكانت تلك الغابةُ مختلفةً عن أىِّ غابةٍ شاهداها من قبلُ ، فقد كانَتْ مليئةً بأصواتٍ وروائحَ غريبةٍ ، وَفى بَعْض الأماكنِ كانتِ النباتاتُ متكاثفةً حتَّى كانا يسيرانِ فيها بصُعُوبةٍ ، وسَرْعانَ ما تَوَغلَّا فِي قَلْبِ الغابةِ ، ولَـكِنَّهُما كانا مَسْرُورَيْنِ فأخَذَا يتجوَّلان هُنا وهُنَاكَ يقْتَطِفَانِ الأزهارَ ويَجْرِيَان خَلفَ الفراشاتِ الملونةِ . ولم يَشْغلْهما عما هُمَا فِيهِ مِنْ مرح ولعبٍ إلَّا صَوْتُ طَلقاتٍ ناريةٍ سَمِعَاها بالقُرْبِ منهما ، تبعَها صرخات وحشيةٌ .

وقَف الولَدَانِ مَشْدُوهَيْن ، ثم ما لَبِثَا أن فَطِنَا إلى أنه لَا بُدَّ أنْ يكونَ القَراصنةُ قد عَثَرُوا على الهنودِ وهم يُقَاتلونهم

فى مكانٍ قريبٍ . ثم تغلَّب الفُضُولُ وحبُّ الاسْتِطْلاَعِ على الخوفِ ، فأخذا يَزْحفَان نحوَ مصدَرِ أصْواتِ المعركةِ . واستمرَّتْ أَصْواتُ المُتَقَاتِلين عنيفةً مدةً من الزمنِ ، ثم أخذتْ تخفُتُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا حتى انقطعتْ .

تلفَّتَ الولدَانِ حَوْلَهما وتساءلا :

— هل انْتَصَرَ القراصنةُ على الهُنُودِ ؟

— هَلْ فَازَ الهنودُ على القراصنة ؟

وَفَجْأَةً شَعَرَتْ عزَّةُ بالخوفِ ، فَقَدْ بَدَا لَهَا أَنَّ الغَابَةَ الجميلةَ قد صارَتْ مَلِيئَةً بِالْأَعْدَاء ، فَتَشَبَّثَتْ بذراعِ طَرِيفٍ وَبَدَأَتْ تَجْذِبُهُ إِلَى الاتِّجَاهِ الَّذِى ظَنَّتْ أَنَّهُ يُؤَدِّى إلى السفينةِ ، ولكنهما لم يَسِيرَا سِوَى مَسافَةٍ قصيرةٍ حَتَّى سَمِعَا صرخةً عنيفةً آتيةً من أَمَامِهِمَا ، فتسلَّلاَ بهدوءٍ حَتَّى شَاهَدَا منظراً عجيبا . . شَاهَدَا اليهودىَّ الْأَحْمَرَ ، وقد شُمِّرَ عن ساعدَيْه

القويتَيْنِ وشهرَ سيْفَه اللاَّمِعَ فى يمينِه ، واستَلْقَى عند قدمَيْهِ غلامٌ هِنْدِىٌّ .

أُخِذَ الولَدَانِ بالمنظرِ ! ! يا تُرى .. مَاذَا سَيَفْعَلُ اليهودىُّ الأَحمرُ بالصبىِّ الصغيرِ ؟ !

وَاشتدَّتْ قبضةُ طريفٍ عَلَى عَصًا قويَّةٍ كَانَ يَسْتعِينُ بها فى شقِّ طريقِه خلالَ الغابةِ ، وكانَ اليهُودِىُّ الأَحمرُ يتكلمُ مَعَ الصبىِّ بلُغَةٍ غريبةٍ ، ولكنَّ الصبىَّ هزَّ رَأْسَه ، وَرَفَضَ أن يُجيبَ ، فثَارَ اليهودِىُّ فَجْأَةً وَأَخَذَ يَسُبُّ وَيَلْعَنُ ، وَرَفَعَ يَدَهُ كأنما يُرِيدُ أَنْ يُغْمِدَ سَيْفَه فى جِسْمِ الْغُلامِ المسكينِ .

وَفِى نفسِ اللَّحْظَةِ قَفَزَ طَرِيفٌ إلى الأمامِ ، وضَرَبَ كُوهِينَ ضَرْبَةً قويةً بعَصَاهُ الغليظةِ على رأسِه ، فسقَط كوهينُ الأَحمرُ على الأرضِ دُون أن ينبِسَ بِبِنْتِ شَفَةٍ .

أَمَّا عزَّةُ فإنَّهَا أَسْرَعَتْ إلى جِوَارِ طريفٍ ، وَقَدْ أَزْعَجَها

ما فعلَ، وَهَزَّ طريفٌ كَتِفَهُ، وَقالَ باحْتِقارٍ :

— لم يُصِبْهُ شيءٌ . لم يَمُتْ ! إنَّهُ فقدَ وَعْيَهُ وَلعلَّه يُفيقُ بَعْدَ قليل، فهَيَّا ساعِدِيني لِكَيْ نَحْمِلَ هَذَا الهِنْدِيَّ بَعيدا قَبْلَ أَنْ يُفيقَ هَذَا اليَهُودِيُّ .

فاستجمعت عزَّةُ نَفْسَهَا، وَتَعاوَنَ الاثْنَانِ عَلَى حَمْلِ الصبيِّ الهنديِّ فيما بينَهما، وَأَخَذاهُ بَعيدًا، وَكانَ هَذَا عَمَلاً صَعْبًا قاسِيًا، فَقَدْ كانَ الصبيُّ جَريحًا فلم يَكُنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يُساعِدَ نَفْسَهُ، وَلَكِنَّ الوَلَدَيْنِ نَجَحَا بَعْدَ جُهْدٍ فِي حَمْلِهِ إلَى شاطىءِ جَدْوَلٍ صَغيرٍ، ثُمَّ وَضَعَاهُ بِجَانِبِهِ، وَأَخَذَتْ عزَّةُ تَغْسِلُ جُرُوحَ الصبيِّ وَتُضَمِّدُها عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهَا، وَسَبَبُ هَذِهِ الجُرُوحِ، أَنَّهُ مَرَّتْ طَلْقَةٌ نَارِيَّةٌ فِي سَانِهِ فَجَرَحَتْهَا، وَأُصِيبَ فِي ذِرَاعِهِ بِجُرْحٍ مِنْ ضَرْبَةِ سَيْفٍ .

وَبَيْنَمَا كانَتْ عزَّةُ تُضَمِّدُ جِرَاحَهُ، كانَتْ عَيْنَا الصبيِّ

واستلقى عند قدميه غلام هندى ...

الهندىِّ تَشِعَّانِ بالْعِرْفَانِ بالجميلِ ، وَبَدَأَ الصبىُّ يَتَكَلَّمُ ، وَلَكِنَّهُمَا أَفْهَمَاهُ بالإشَارَةِ أَنَّهُمَا لا يَسْتطيعَانِ فَهْمَ مَا يَقُولُ ، فَأَخَذَ يُشِيرُ لَهُمَا حَتَّى فَهِمَا أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْهُمَا أَنْ يَبْقيا إِلَى جَانِبِه . فَقَالَتْ عزَّةُ عِنْدَمَا فَهِمَتْ مَقْصِدَهُ :

— إنه الشىء الْوَحِيدُ الَّذِى نستطيعُ أَنْ نَعْمَلَه ، فإِنَّ كوهينَ الأحمرَ سَوْفَ يَقْتُلُنَا إذا عُدْنَا إلى السَّفِينَةِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبْتَه تِلْك الضربةَ ، وَأَنْتَ لَمْ تَرْتَكِبْ خطأً بِذَلِكَ . وَنَحْنُ نُفَكِّرُ كَيْفَ نَعِيشُ الآن ؟

فقال طريفٌ وهو يُشِيرُ إلى الصبىِّ الهندىِّ :

— سَنَعِيشُ مَعَهُ ، فيُصبحُ الهنودُ أَصْدِقَاءَنَا لِأَنَّنَا أَنْقَذْنَا حَيَاتَهُ ، وَرُبَّمَا سَاعَدُونَا فِى إِنْقَاذِ عَادِلٍ وَبَحَّارَةِ زهرةِ البحارِ .

وَأَفْهَمَ الولَدَان الصَّبىَّ الْهِنْدِىَّ بالإشَارَاتِ أَنَّهُمَا وَافَقَا عَلَى الإقَامَةِ مَعَهُ ، فابْتَسَمَ الصبىُّ مُغتبطاً ، وَبَدَأَ يُصْدِرُ أَصْوَاتاً

كصيحاتِ الطيورِ ، فما انقضتْ دقائقُ قليلةٌ حتى ظهرَ ستةٌ من الهنودِ الأقوياء مُسلَّحينَ بالأقواسِ والسهامِ ، وما كادُوا يرَوْنَ الولدَيْنِ حتى رفعُوا حِرابَهُمْ مُهدِّدينَ ، ولكنَّ الصبيَّ الهنديَّ تكلمَ معَهُمْ بلُغتِهم ، فتغيَّرَ موقفُهم ، وتقدَّمَ إلى الأمامِ أحدُهم ، وكانَ طويلاً وسيمًا ، وأفهمَ الولدَيْنِ بالإشاراتِ أنَّهُ والدُ الصبيِّ الهنديِّ صديقِهما ، وأنَّهُ يُمكِنُهُما أنْ يتبعاهُ . وقالتْ عزَّةُ لطريف :

— أعتقدُ أنَّهُ والدُ الصبيِّ ، فهُوَ شديدُ الشبهِ بهِ .

فأضافَ طريفٌ :

— ويبدُو أنَّهُ هُوَ الزَّعيمُ أيضًا ، فهيَّا نذهبْ معَهُمْ فهُمْ لنْ يُؤذُونا .

وهكذا تبعَ طريفٌ وعزَّةُ أصدقاءهما الجُددَ في خِلالِ الغابةِ .

وَكانَ الهنودُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ الصَّبِيَّ يَسِيرُونَ بِسُرْعَةٍ فِي خِلالِ مَمَرَّاتِ الْغابَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَها جَيِّداً ، وَبَعْدَ مَسِيرِ نِصْفِ سَاعَةٍ ، وَصَلَتِ الجماعَةُ إِلَى شاطِئِ بحيْرَةٍ صَغِيرَةٍ قَدْ تَناثَرَتْ حَوْلَها أَكْواخٌ لِلْهُنُودِ ، وَكانَتْ هَذِهِ الأَكْواخُ قَرْيَتَهُمْ .

وَلاَحَظَ الولدانِ أَنَّ هُناكَ هَرْجاً فِي الْقَرْيَةِ ، فَقَدْ كانَ هُنَاكَ بَعْضُ النِّساءِ يَبْكِينَ قَتْلاهُنَّ ، وَعِنْدَمَا رَأَى الهنودُ طَرِيفاً وَعِزَّةَ انْدَفَعُوا نَحْوَهما يُرِيدُونَ الْفَتْكَ بِهِما ، وَلَكِنَّ وَالِدَ الصَّبِيِّ الهنديِّ مَنَعَهُمْ وَشَرَحَ الأَمْرَ لَهُمْ ، فَتَحَوَّلَتْ صَيْحاتُ الْغَضَبِ كَلِماتِ وَإِشارَاتِ تَرْحِيبٍ ، وَأُعْطِيَ طَرِيفٌ وَعِزَّةُ كُوخاً صَغِيراً مُلاصِقاً لِكوخِ الزَّعِيمِ الَّذِي كانَ يَرْقُدُ فِيهِ الصبيُّ الْجَرِيحُ .

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَلَمْ يَأْتِ نَبَأٌ عَنْ كُوهِينَ الْيَهُودِيِّ الأَحمرِ

وَعِصَابَتِهِ مِنَ الْقَرَاصِنَةِ ، فَبَدَأَ الولدَانِ يَشْعُرَانِ بِالأَمْنِ فِي الْقَرْيَةِ . وَكَانَ الولدَانِ يَقْضِيَانِ مُعْظَمَ الْوَقْتِ مَعَ الصبيِّ الهندىِّ الْجَرِيحِ الَّذِى شُفِيَ بِسُرْعَةٍ ، وَالْتَأَمَتْ جِرَاحُهُ ، وَاسْتَطَاعَ الولدَانِ بالإِشَارَاتِ وَبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الَّتِى تَمَكَّنَا مِنَ الْتِقَاطِهَا مِنَ الهنودِ أَنْ يَعْرِفَا قِصَّةَ المعركةِ بَيْنَ الْهُنُودِ وَالْقَرَاصِنَةِ ، وَأَخْبَرَهما الْغُلَامُ الهندىُّ ، وَكَانَ اسمُه «مانكو» ، أَنَّ الهنودَ قَدْ هَزَمُوا الْقَرَاصِنَةَ وَأَخْبَرَهما أَيْضاً أَنَّهُمَا آمِنَتَيْن فِي الْقَرْيَةِ الْهِنْدِيَّةِ لِأَنَّ الْقَرَاصِنَةَ وَاللُّصُوصَ لاَ يَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا ، وَأَنَّ الْجَوَاسِيسَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ الزَّعِيمُ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْقَرَاصِنَةَ مَا زَالُوا يَبْحَثُونَ فِي الْخَلِيجِ وَيَغُوصُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَرَارِهِ .

وَسَأَلَهُمَا مانكو فِي أَحد الأيام :

— لِمَاذَا جَاء هؤُلاَء الرجالُ المجرمون إلى هُنَا ؟

وَقَدْ سَأَلَهُمْ ذَلِكَ بالاسْتِعَانَةِ بالإشَارَاتِ . وَتَعَاوَنَ طَرِيفٌ وَعزَّةُ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ عَلَى أَنْ يجِيباَ عَنْ سُؤَالِه ، حَتَّى أَفْهَمَاهُ أَنَّ هُنَاكَ عَدَدا مِنْ أَصْدِقَائِهِماَ أَسْرَى عَلَى السفينةِ الطائرِ الأسودِ ، وَأَنَّهُمْ جَاءوا لِيَبْحَثُوا عَنِ الْكَنْزِ الَّذِى فِى السفينةِ المفقودةِ . وَقَدْ اسْتَغْرَقَ إِفهَامُ الصبيِّ الهندىِّ ذَلِكَ وَقْتاً طَوِيلا ، وَلِكِنَّهُ عِنْدَمَا فَهِمَ ابْتَسَمَ وَقَالَ :

— إِنَّ أَصْدِقَاءَ طَرِيفٍ وَعزَّةَ أَصْدِقَاءُ مانكو ، وَأَصْدِقَاءُ وَالدِ مانكو ، وَأَصْدِقَاءُ قَبِيلةِ مانكو . وَسَنُنْقِذُهُم مِنَ الْقَرَاصنةِ وَلَنْ يَجِدُوا الْكَنْزَ . إِنَّ مانكو يَعْرِفُ أَيْنَ يُوجَدُ الْكَنْزُ ، وَعِنْدَمَا تَتَحَسَّنُ صِحَّتُهُ سَيُرِى طَرِيفاً وَعَزَّةَ الْمَكَانَ الَّذِى هُوَ فِيه .

مَرَّ أُسْبوعَان ، واسْتعادَ مَانْكو صحَّتَه ، وعَلِمَ الوَلَدَانِ مِن الهنودِ أَنَّ القراصنةَ ما زَالُوا يَبْحَثُون عَنِ السفينةِ المفقودةِ ، وأَنَّهُمْ قَدِ اطمأَنُوا عَلَى أَنَّ كوهينَ الأَحمرَ لن يُهاجِمَهم .

وفِي صَبَاحِ أحدِ الأيامِ اسْتَيْقظَ الجَمِيعُ عَلَى صَوْتِ طَلَقَاتٍ نَارِيةٍ وصرَخَاتٍ عَالِيةٍ وَحْشِيَّةٍ . وخَرَجَ طريفٌ وعزَّةُ لِيَجِدَا الهنودَ يهربُون فى هَرْجٍ ومَرْجٍ أمامَ عشرين من القراصنةِ الذين تمكَّنُوا من شقِّ طريقِهم فى خلالِ الغابةِ إلى القريةِ ، ووقف الولدانِ يُراقبَان ما يَحْدُثُ فَزِعَيْنِ ، وعندئذٍ رآهما بَعْضُ القراصنةِ ، فانْدَفَعُوا نحوَهما ولكنَّهما أسْرَعا بالفرار إِلَى الْغَابَةِ وقد تملَّكهما ذُعْرٌ شديدٌ ، وظلَّا يَعْدُوَان فى الغابةِ دُونَ توقُّفٍ نَحْوَ نِصْفِ ساعةٍ ، ثم تَوَقَّفا قليلًا ليلْتقِطَا أنفاسَهما ولِيُنْصِتَا إلى أصواتِ مَنْ يَتْبَعُونَهما ، وَلَكِنَّ القراصنةَ كانُوا قد فقدُوا

أثرَهما بمجردِ دُخولِهما إلى الغابةِ ، وكُلَّما زادَتِ المَسافةُ بينَهما وبينَ القريةِ زادَ خُفوتُ الأصواتِ حتَّى تلاشَتْ ، وبقيتِ الغابةُ الساكنةُ حَوْلَهما .

وعِنْدَ مَا اطمأنَّ الولَدانِ إلَى أنَّهُمَا قَدْ أصبحَا فى مَأمَنٍ مِنَ المُطاردةِ جَاسَا ليَسْتَرِيحا قليلًا ، وسَألتْ عزَّةُ طريفًا :

— يا تُرى ! لماذَا هاجَمَ القراصنةُ الهنودَ ؟!

وفكرَ طريفٌ قليلًا ثم أجاب :

— رُبَّما يَئِسَ كوهينُ الأحمرُ من البحثِ فى مِياهِ الخليجِ ، فأرَادَ أنْ يَقْبِضَ عَلَى بعضِ الهنودِ ويُرْغِمَهم عَلَى أن يُخْبِرُوه بمكانِ السفينةِ المفقودةِ .

فأومأتْ عزَّةُ برأسِهَا وقالت :

— لقَدْ ظنَنْتُ ذلِكَ أنا أيضًا ، ولَكِنْ مَاذَا سَنَفعَلُ نَحْنُ الآنَ ؟ ؟ ! إننا لا نستطيعُ العَوْدَةَ إلى السفِينةِ ولَا نستطيعُ

العودةَ إلى القريةِ ! ! كَمْ أتمنَّى لوْ أننَا لم نَشْتَرِكْ فى هذهِ الرحلةِ المُتْعِبَةِ .

ولم يستطعْ طريفٌ أن يُهَدِّئَ مِنْ رَوْعِ عزَّةَ ، لأنه هُو نفسَه كانَ قد بَدَأَ يَشعرُ بالخوفِ . واستمرَّ الاثنانِ يسيرانِ في الغابةِ ، وَيتجوَّلانِ فيها ساعةً بعدَ ساعةٍ دُونَ أن تَكُونَ لدَيْهما أيَّةُ فكرةٍ عن المكانِ الذى يَقْصِدَانِه . وعندما شَعَرَا بالجوعِ أكَلَا بعضَ الثمارِ المتدلِّيَةِ من فُرُوعِ الأشجارِ ، وكان النهارُ قد انتصفَ ، وشَعَرَا بالتَّعَبِ الشَّديدِ عِنْدَمَا لَمَحا بريقَ الماءِ أمامَهُمَا ، فاندَفَعَا إلى الأمَامِ ، وَسَرْعَانَ ما كانَا واقفَيْنِ على شاطىءِ خليجٍ صغيرٍ ، ومِنْ خِلالِ فَجْوَةٍ فى الغابةِ شَاهَدَا مَدْخَلَ الخليجِ الضيقِ ، وخَلْفَهُ المحيطُ الواسعُ ، فأخَذا يتطلَّعَانِ إلى ما حَوْلَهما بشَغَفٍ ، فقد كانَتْ مِياهُ الخليجِ هَادِئَةً ، وكانَتِ الأمواجُ تتكسَّرُ عِنْدَ الشَّاطىءِ خَارِجَ

مدخلِ الخليج .

وَخَطَرَتْ فكرةٌ لعزَّةَ فجأةً فصاحَتْ :

— ديكٌ ! ديكٌ ! إن هذا يُشْبِهُ الخليجَ الذى فُرِضَ أن السفينةَ قد غَرِقَتْ فيه ، فإنَّ الوصفَ الذى سَمِعْنَاه من البحَّارةِ الذين كُنَّا مَعَهُمْ ينطَبِقُ عليه كلَّ الانطباقِ ، ويُحْتَمَلُ أن يكونَ كُوهينُ الأحمرُ قد أخطأَ ، وظَلَّ يَبْحَثُ طولَ ذلكَ الوَقْتِ فى خليجٍ آخَر ، وأَرْهَقَ نَفْسَهُ وأرْهَقَ رجالَه ولم يَعْثُرُوا على شىء ، وربَّما نكونُ قريبَيْنِ جدًّا مِنَ السَّفينةِ المفقودةِ والكنزِ فى هذهِ اللحْظَةِ !!! هيَّا نَبْحَثْ عنه ! ! كم يكونُ رائعًا لو أننا كشَفْنَا الكنزَ بأنفسِنا !!!

واضطرَّ طَرِيفٌ أنْ يَعْتَرِفَ أنَّ عزَّةَ قد تكونُ عَلَى صَوَابٍ ، ونَسِيَ الاثنانِ تَعَبَهُما وبَدَآ يَبْحَثَان عن السفينةِ المفقودةِ حولَ شاطىء الخليج ، فَنَزَعَا ثيابَهُمَا وأخذا يسبحان

هنا وهناك وهما يُحَاوِلَانِ أن يتبيَّنَا أثراً للسفينةِ الغارقةِ تحتَ الماء ، ولـكنَّهُما لَمْ يَستطيعا العثورَ عَلَى شَيْءٍ ، فَخَرجَا مِنَ الماء وهُمَا فى حالةٍ شديدةٍ من الضِّيقِ والتَّعبِ ، ولَبِسَا ملابسَهما وألقيا نَفْسَيْهما تحتَ ظِلالِ شجرةٍ عَظِيمةٍ عَلَى حَافةِ الغَابةِ ، وسَرْعَانَ ما استغرَقَ طَرِيفٌ في نَوْمٍ عَمِيقٍ ، وكادَتْ عَزَّةُ أنْ تستغرقَ فى النومِ مِثلَه ، ولـكنَّها حانَتْ منها التفاتةٌ إلَى الشَّجرةِ فوقَها فرأتْ وجْهاً يُحَدِّقُ فيها من خِلَالِ أوراقِ الشجرةِ ، فَصَرَختْ رُعْباً وفَزَعاً وأيْقظَتْ صرخَتُها طريفاً الذى هبَّ صَائِحاً :

— ماذَا حدَثَ ! ! ؟

فأشَارَتْ عزَّةُ إلَى الوجهِ الَّذِى يُطِلُّ عليْها مِنْ خِلَالِ فُرُوعِ الشَّجرةِ ، فلَمَّا رَآهُ طَرِيفٌ أطلقَ هُو أيضاً صَرْخَةَ رُعْبٍ وفزعٍ ، وكادَ الاثنانِ أنْ يفِرَّا مذعورَيْنِ ، إلَّا أنَّ شيئاً

جامداً فِي الوَجْهِ جَعَلَ طَرِيفاً يتريَّثُ . . ! ! وسَرْعَانَ ما تبيَّنَ له الأمرُ فصاح :

— إنَّهُ لَيْسَ وجْهاً على الإطلاقِ ! !

إنَّهُ وَجْهٌ خشبيٌّ .

إنَّه المُقدِّمةُ الخشبيةُ لإحدى السفنِ على هيْئَةِ وجهٍ

إنَّنِي أعتقدُ أنَّنَا قَدْ وَجَدْنَا السفينةَ !!!

ولَمْ تمْضِ لَحظَاتٌ حَتَّى تَحقَّقَ أَنَّ الْوَجْهَ هُوَ حَقِيقَةً جُزْءٌ مِنْ مُقَدِّمَةِ إِحْدَى السُّفُنِ الضَّخْمَةِ الْمَدْفُونَةِ وَسَطَ الْأَشْجَارِ ، وَقَدْ نَمَتْ حَوْلَهَا الشُّجَيْرَاتُ الْمُتَكَاثِفَةُ حَتَّى لَمْ يَعُدْ مِنَ السهل تمْيِيزُهَا مِنَ الْغَابَةِ حَوْلَهَا .

وَتَسَلَّقَ طَرِيفٌ وَعِزَّةُ النَّبَاتَاتِ الْمُتَسَلِّقَةَ النَّامِيَةَ حَوْلَ السفينةِ حَتَّى وصَلاَ إِلَى سَطْحِهَا ، فَوَجَدَاهُ مُغَطًّى بالنَّبَاتَاتِ

وَالْحَشَائِشِ ، وَلَكِنْ كَانَتْ هُنَاكَ بَقَايَا مِنَ الصَّارِيَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ ، وَقَالَ طَرِيفٌ وَهُوَ يَتَطَلَّعُ حَوْلَهُ فِي دَهْشَةٍ بَالِغَةٍ :

— كَيْفَ جَاءَتِ السفينةُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ؟

فَقَالَتْ عزَّةُ :

— لَا تَكُنْ غَبِيًّا . لَقَدْ قَذَفَتْ بِهَا الْعَاصِفَةُ إِلَى هُنَا . وَلَا شَكَّ أَنَّ مَوْجَةً عَاتِيَةً قَدْ حَمَلَتْهَا وَأَلْقَتْهَا فِي الْغَابَةِ . هَيَّا بِنَا نُحَاوِلُ الْبَحْثَ عَنِ الْكَنْزِ فَقَدْ نَجِدُهُ ، وَلَا تَقِفْ مَشْدُوهًا هَكَذَا !

وَتَوَجَّهَ الولَدَانِ إِلَى الْمَقْصُورَةِ الرَّئِيسِيَةِ لِلسَّفِينَةِ فَوَجَدَا بَابَهَا مَفْتُوحًا ، وَيَكَادُ يَسْقُطُ لفرطِ تَآكُلِهِ ، فَلَمَّا أَطَلَّا مِنْ خِلَالِ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ وَجَدَا عَدَدًا مِنَ الصَّنَادِيقِ قَدْ صُفَّتْ بِجِوَارِ حَوَائِطِ الْمَقْصُورَةِ ، وَكَانَ خَشَبُ الصَّنَادِيقِ قَدْ تَعَفَّنَ وَتَآكَلَ بِفِعْلِ الرطوبةِ ، فما إِنْ رَفَسَ طَرِيفٌ أَحَدَهَا

بِقَدَمِهِ حَتَّى تَهَاوَتْ أَخْشَابُ الصُّنْدُوقِ وَسَقَطَتْ مِنْهُ سِتُّ سَبَائِكَ صَفْرَاءَ !!

أَخَذَ الْوَلَدَانِ يَنْظُرَانِ فِيهَا بُرْهَةً ، وَهُمَا لَا يُصَدِّقَانِ أَعْيُنَهُمَا ، ثُمَّ هَتَفَا معا : الْكَنْزُ !! وأخذا يفحصان باقى الصناديقِ فوجداها جميعا مملوءةً بالسبائكِ الذهبيةِ الصفراء ما عدا واحدا فقد كانَ مليئاً بالماساتِ الْمُتَلأْلِئَةِ والْجَوَاهِرِ البرَّاقةِ . . مِنْ ياقوتٍ وزُمُرُّدٍ ولآلئَ . وقالت عزَّةُ :

— يَجِبُ أَنْ نَحْمِلَ الْكَنْزَ بَعِيدًا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ فَرُبَّمَا اسْتَطَاعَ كُوهِينُ الأَحْمَرُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى بَعْضِ الهنودِ وَيُرْغِمَهُمْ عَلَى إِرْشَادِهِ إِلَى السَّفِينَةِ المفقودةِ .

وَبَعْدَ أَنْ تَنَاقَشَ الاثْنَانِ فى الأَمْرِ بَعْضَ الْوَقْتِ ، قَرَّرَا أَنْ يَنْقُلَا الْكَنْزَ إِلَى طَرَفِ الْغَابَةِ قَرِيباً من مَدْخَلِ الخليج ، وأَنْ يَدْفِنَاهُ فِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَكُنِ النَّهَارُ قد انقضى بَعْدُ ،

ودهش الولدان وهتفا معا : الكنز ! !

ولذلك بَدَآ العمل فى الحال ، فحَمَلاَ الجواهرَ أوَّلاً إلَى المَخْبَإِ الجديدِ ، ثم أخذا فى حَمْلِ الذهبِ ، فكان كلٌّ منهما يحملُ سبيكتَيْن فى المرةِ الواحدةِ عَلَى كتفيْه . وَظَلاَّ يَعْملان بلا تعبٍ حتى أتَمَّا نقلَ نصفِ الكَنْزِ عِنْدَ هُبُوطِ الظَّلامِ إلَى مَخْبَإٍ لا يَسْتطيعُ أَحَدٌ أنْ يَصِلَ إلَيْهِ .

وَقَضَى الولَدَانِ تِلْكَ الليلةَ فى مَقْصُورةِ السفينةِ ، واستَيقَظا فى اليومِ التَّالِى مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، واسْتَأنَفَا عَمَلَهُمَا بَعْدَ أنْ تناولاَ إفطارَهما مِنَ الفواكِهِ والْمَحَارِ . وَكانَ الْعَملُ مُرْهِقاً تحْتَ أشعةِ الشَّمْسِ ، ولكِنَّهُمَا صَمَدَا فِى وَجْهِ التَّعَبِ ، وَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ كَانَا قد أتَمَّا نَقْلَ آخِرِ السبائكِ الذهبيةِ مِنَ السفينةِ إلَى المخبإِ الجديدِ الذى غُطِّىَ بالرِّمَالِ .

وجَلَسَ طَرِيفٌ وعزَّةُ عندَ حافةِ الْغابةِ بالقُرْبِ مِنَ الْبَحْرِ وَهُمَا يَنْظُرَانِ إلَى السَّفينةِ خَلْفَهُمَا ، ثمَّ قَالَ طَرِيفٌ :

— والآنَ .. مَاذَا نفعَلُ ؟ ! لَقَدْ وَجَدْنَا الْكنْزَ ، وَلَكِنَّهُ عَدِيمُ النَّفْعِ لَنَا أَوْ لغَيْرِنَا مَا دُمْنَا لا نَسْتَطِيعُ الاتِّصَالَ بِعَادِلٍ وَبَاقِي رِجالِنَا لإطلاقِ سراحِهم . وَبَعْدَ ذَلِك يَلْزَمُنَا أَنْ نَسْتَوْلِيَ عَلَى الطائرِ الأسودِ لكى نُبْحِرَ عليها إلى الوطن . . وَإِنِّى أَتَمَنَّى . .

ولكِنَّ طربفا لم يُكملْ حديثَه ، فَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَضَعَتْ عزَّةُ يَدَها عَلَى فَمِهِ لِتَمْنَعَهُ مِنَ الْكَلامِ ، وَأَشَارَتْ بِيَدِها الأخرى إِلَى طَرَفِ الشاطىءِ حَوْلَ الخليجِ ، وَهُنَاكَ . . عَلَى حَافَةِ الْغَابَةِ كانَ يَقِفُ كُوهِينُ الْيَهُودِيُّ الأحمرُ وَعَيْنَاهُ الْقَاسِيَتَانِ تَكْتَسِحَانِ الغابةَ بَاحِثَةً هُنَا وَهُنَاكَ . ثمَّ ظهرَ للولَدَيْنِ الخائفيْنِ جماعةٌ من القراصنةِ تقودُ اثنيْن من الهنودِ ، وَلَحِقَ الجميعُ بكوهينَ الأحمرِ ، وَتبيَّنَ للطفليْن أَنَّ اللهَ وَفَّقَهُمَا وأتاحَ لَهُمَا الْفُرْصَةَ الَّتِي جَعَلَتْهُمَا يُتِمَّانِ نَقْلَ الكنزِ فى

الوقتِ المناسبِ .

وَتَسَلَّلَ الولَدَانِ مُتراجِعَيْن إلَى دَاخِلِ الْغَابَةِ دُونَ أنْ يُحْدِثَا صَوْتًا ، واخْتَفَيَا خَلْفَ بَعْضِ الشُّجَيْرَاتِ يُرَاقِبَانِ أَعْدَاءَهُما ، فَرَأَيَا كُوهينَ الأَحْمَرَ يَلْتفتُ نَحْوَ الرَّجُلَيْنِ الهنديَّيْنِ ، ويتكلَّمُ معهما ، ثمَّ رَأَيَا الأَسِيرَيْنِ يُشِيرَانِ نَحْوَ السَّفِينة ، فانْدَفَعَ الْقَرَاصِنةُ فِي ذَلِكَ الاتِّجَاهِ ، وَبَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ ارْتَفَعَ تَهْلِيلُهُمْ وَصِيَاحُهُمْ ، فَعَلِمَ الوَلَدَانِ أَنَّ الْقَرَاصِنَةَ قَدْ وَجَدُوا السَّفِينَةَ . وَقَالَ طَرِيفٌ :

— مِنْ حُسْنِ حَظِّنا أننا كُنَّا نَسيرُ دائمًا فى الْماء ونَحْنُ ننقلُ الكنزَ ، وَلَوْ لَمْ نفعلْ ذَلِك لكُنَّا تَرَكْنا آثارَ أقدامِنا ، ولَاسْتَطَاعَ كُوهينُ الأَحْمرُ أنْ يَهْتَدِيَ إلى الْمَكانِ الَّذِي خَبَّأْنَا فِيهِ الكنزَ . أَنْصِتِي يا عَزَّةُ ! ! لَقَدْ كَشَفُوا أَنَّ الكنزَ قد اخْتَفَى ! !

وَكانَ السَّبَب فى هذه الكلماتِ صَيْحاتُ الغَضَبِ الَّتى انْبعثَتْ فَجْأةَ مِنَ الجانِبِ الآخرِ مِنَ الخَلِيجِ حَيْثُ السفينةُ المفقودةُ . وَمَا لبِثَ كوهينُ الأحمرُ أنْ ظهرَ على الشَّاطىء مرَّةً أخْرى ، واستَطاعَ طَريفٌ وعزَّةُ بالرَّغم مِنْ بُعْدِ المسافةِ أنْ يتبيَّنَا أنّه فِي حَالةِ غضَبٍ وهِيَاجٍ شدِيدَيْنِ ، وكان يَصْرُخُ وَيُلَوِّحُ بِذرَاعيْه فى جميعِ الاتِّجاهاتِ .

وفى الحال تفرَّقَ القراصنةُ الَّذِينَ كانُوا مُلْتَفِّينَ حَوْلَ قَائدِهم ، وانْطَلَقُوا يُفَتِّشُون الْغَابَةَ . وَقَالَ طَريفٌ وهُو يَجْذِبُ عَزَّةَ من يَدِها :

— هَيَّا بنَا ! إنْ القراصنةَ لَا يعْرِفُون إلَّا أنَّ الذهبَ قد اخْتَفَى ، وسَيُفَتِّشُون الْغَابَةَ ، فَهَيَّا نَجْرِى . . ! فإنهم إذَا قبضُوا علينا فسَيَعْلَمُونَ أننا نَحْن الذِينَ أخَذْنا الكنزَ ، وسَيُرْغِمُنَا كُوهِينُ الأحمرُ على أن نُخْبِرَه بمكانِه .

وأخذَ الولَدَانِ يَعْدُوانِ بيْنَ أشجارِ الغَابةِ، ولـكنَّهُما الْتزمَا السَّيْرَ بحِذاء شاطىء البحْرِ، حتى لا يَضِلَّا الطريقَ، وحتَّى يستَطِيعا أنْ يَصِلا إلَى الخليجِ الآخر الذى تَرْسُو فِيه الطائرُ الأسودُ.

وَلِحُسنِ حَظِّهما لَمْ يَـكُنْ لدَى القراصنةِ أىُّ فـكرةٍ عَن الذِين أَخَذُوا الـكنْزَ، أوْ أيْنَ يَجبُ عليهِمْ أن يَبْحَثُوا عن هؤلاء الذين سَبَقُوهم إليْه . . ! !

ابتَعد الولَدَانِ عَنِ القَراصنةِ الغاضِبينَ، وظَلَّا فِى سَيْرِهما نَحْوَ ساعتَيْنِ حَتَّى بَدَتْ لهما فَتْحَةٌ فى الغابةِ أمامَهُما تبيَّناها . . فإذا هى مَدخلُ الخَلِيجِ الذِى تَرْسُو فيه الطائرُ الأسودُ، وتَهَلَّلَ الولَدَانِ وأخذَا يزحفانِ عَلَى أرْبعٍ بَيْنَ الشُّجَيْراتِ والنبَاتاتِ حَتَّى وَصَلَا إلَى مَكانٍ يستطِيعَانِ مِنهُ أنْ يَرَيَا الخليجَ كُلَّه.

وَلَمْ يستَطِعِ الولَدَانِ أنْ يُصَدِّقَا مَا يَرَيَانِه أَمَامَهُمَا . . . !

أَخَذَا يُدَقِّقَانِ النَّظَرَ ، وَلِكِنْ لَمْ يكنْ هُنَاكَ مجالٌ للخَطأ . .

فَقَدْ كانَ الخليجُ هُوَ نَفْسَ الخليجِ الذِى تَرْسُو فيهِ الطائرُ الأسودُ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ الشَّجرةُ الَّتِى اخْتفياَ خَلْفَهَا فى اليوْمِ الذِى سَبَحَا فِيهِ مِنَ السفينةِ إلى الشَّاطىء ، كَمَا كَانَ هُنَاك أحدُ قَوارِبِ الطائر الأسْودِ فَوْق رمالِ الشاطىء ، ولَكِنَّ الطَّائرَ الْأَسْوَدَ نَفْسَها التى أحضَرتْهما إلَى تلْكَ البلادِ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَثَرٌ ، وكانَتْ صَفْحَةُ الْمِياهِ خَالِيةً وقدِ اخْتَفَتِ السفِينةُ الطائرُ الأسودُ ! !

٥

انقضت لحظات والولدان فى ذهول لهذه الكارثة التى لم تكن منتظرة . لقد عجزا عن التفكير فيما يجب عليهما عمله ، وكان طريف يأمل أن يتمكن من إطلاق سراح أصدقائه فى الوقت الذى كان فيه معظم القراصنة منهمكين فى البحث عن الكنز . ولكن اختفاء الطائر الأسود قلب خططه رأسا على عقب . وقالت عزة :

— من المحتمل أن القراصنة الذين تركوا على ظهر الطائر الأسود لحراستها قد أبحروا بها إلى الخليج الآخر ليكونوا قريبين من مكان الكنز . فقال طريف :

— لو أنهم فعلوا ذلك حقا لكنا قد رأيناهم . إننا كنا نسير بحذاء الشاطىء ، ولا بد أن شيئا حدث للسفينة .. فإما أن

أَعْداءٍ مَجْهُولِينَ قَدِ اسْتَوْلَوْا عَلَيْها وَكوهِينُ الأحمرُ مُنْهَمِكٌ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْكَنْزِ عَلَى الشَّاطِىءِ مَعَ رِجَالِهِ ، وإِمَّا أَنَّ عادِلاً وَبَحَّارَةَ زَهْرَةِ البحَارِ قَدْ تخلَّصُوا مِنْ قيودِهِم وَاسْتَوْلَوْا عَلَى السفينةِ .

فقالَتْ عزَّةُ :

— إِذَا كَانَ عَادِلٌ وَبحَّارَةُ زَهْرَةِ الْبِحَارِ قَدْ تَخَلَّصُوا مِنْ قُيُودِهِم وَاسْتَوْلَوْا عَلَى السفينةِ فَإِلَى أَيْنَ ذهَبَ بِهَا ؟؟ لَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَتْرُكَنَا تَحْتَ رَحْمَةِ الْقَرَاصِنةِ ، وَالْهُنود وَيَرْحَلَ ! !

بَدَتْ عَلَى طريفٍ عَلَامَاتُ الأسفِ وَالحسرةِ وقالَ :

— رُبَّمَا ظنُّوا أَنَّنَا قُتِلْنا ، فَإِنَّهُم لا يَعْرِفُونَ كَيْفَ سَبَحْنَا إِلَى الشَّاطِىءِ ، أَوْ كَيْفَ أَنْقَذْنَا مَانْكو ، وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنَّهُم اعْتَبَرُونَا مَفْقودَيْنِ ، ثُمَّ إِنَّنَا لسْنَا سِوَى وَلَدَيْنِ هَارِبَيْنِ ،

وَمَنِ الَّذِى يَهْتَمُّ بِوَلَدَيْنِ مِثْلِنَا ؟ ! !

فصَاحَتْ عزَّةُ :

— وَلَـكِنَّهُمْ بِذلك يَتْرُكُونَ الْـكَنْزَ !

فأَجَابَهَا طَرِيفٌ :

— إِنَّهُمْ لا يَعْرِفُونَ أَنَّ هناكَ كَنْزًا ، فإِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَرَاصنةَ قَدْ نَقَّبُوا وَبَحَثُوا فِى هَذَا الْخَلِيجِ دونَ جَدْوَى ، وَلَـكِنَّهُمْ لَنْ يَعْلَمُوا شَيْئًا عَنْ عُثُورِنَا عَلَى الْـكَنْزِ ، وَلِذَلك فَمِنِ الْمُحْتَمَلِ جِدًّا أَنْ يَعْتَقِدُوا أنه لَيْسَ هُنَاكَ كَنْزٌ ، وَيُبْحِرُوا إلى الْوَطَنِ .

وَعِنْدَمَا انْتَهَى طَرِيفٌ مِنْ كلامِهِ ، بَدَأَتْ عزَّةُ فى الْبُكاءِ ، فَقَدْ كَانَتْ تَشْعُرُ بِالْخَوْفِ وَالتَّعَبِ الشَّدِيدِ ، كَمَا أَنَّ الْمَحَارَ الَّذِى أَكَلَتْهُ لم يُشْبِعْهَا . وَحَاوَلَ طريفٌ أَنْ يُوَاسِيَهَا . وَمَا لَبِثَ الوَلَدَانِ أن غلبَهُمَا التَّعَبُ ، فاستغرقَا فِى نومٍ عميقٍ .

كانَ هناكَ شَبحٌ أسودُ يقْتربُ من الولَدَيْنِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا . وَكانَ هَذَا الشَّبحُ الأَسْوَدُ يتبَعُهُمَا مُنْذُ مُدَّةٍ خِلالَ مَسالِكِ الغابةِ ! ! وأخيراً وصلَ الشبحُ إلى الشَّجَرَةِ الَّتِي يَرْقُدُ تحتَها الولَدَانِ ، وَنَظَرَ إليهما مِنْ خِلالِ فروعِ الشَّجرةِ ، وقد عَلَتْ وَجْهَهُ ابْتِسَامَةٌ عريضةٌ ، ثمَّ مَدَّ يَدَهُ ، وَهَزَّ كَتِفَ طريفٍ وقالَ :

— طَرِيفُ ! عزَّة ! اسْتيقِظا ! إنَّنِي مَانكو .

وكانَ سُرُورُ الولَدَيْنِ عَظِيما عِنْدَمَا رَأَيَا صديقَهما ، وكان مانكو قَدْ أحضرَ معه طعاماً لصديقَيْه . وَبَيْنَمَا كانَا يأكلانِ الطَّعامَ أخْبَرَهُما مانكو أن أكثرَ الهُنُودِ قد أفلتُوا مِنْ هُجُومِ القراصنةِ ، وَلَوْ أَنَّ بَعْضَهم قد قُتِلَ فى المعْركةِ . وأخذَ يقصُّ عَلَى صَدِيقَيْهِ الطِّفلَيْنِ أخبارَ المعركةِ وتفاصيلها . وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ سَرْدِ أخبارِه قصَّ عليْه طَرِيفٌ مُغَامَرَتَهُمَا ،

فلمَّا انتهى مِنْ قِصَّتِهِ أشارَ إلى الخليجِ ، وَسألَ مانكو عمَّا إذا كانَ يعرفُ أينَ ذهبتِ الطائرُ الأسودُ .

وَعِنْدَئذٍ ظَهَرَ عَلَى الصبيِّ الهِنْدىِّ التأثُّرُ الشديدُ ، حَتَّى أنَّهُ انْقَضَى وَقْتٌ طَويلٌ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ طَرِيفٌ وَعزَّةُ مَعْنَى الْكَلِمَاتِ وَالإشَارَاتِ التى أخَذَ يَقُومُ بِهَا إجابةً عَنْ سُؤَالِ طريفٍ وعزَّةَ . وَلَكِنَّهُمَا فِى النِّهايةِ عَلِمَا أَنْ بعضَ الهنودِ المعادِينَ لِقَبيلتِهِ ، أقبلوا فى زوارِقِهِم وَهَجَمُوا على القراصنةِ الَّذِينَ كانُوا يَحْرُسُون السفينةَ فى غفلةٍ مِنْهُمْ ، ثمَّ سَحَبُوا الطائرَ الأسودَ إلى خارجِ الخليجِ ، وَأَدْخَلُوها فى أحدِ الأنهارِ الَّتى تصبُّ فى المحيطِ .

فَسألتْه عزَّةُ باهْتِمامٍ :

— وَهَلْ أَصْدِقَاؤُنا بخَيْرٍ ؟

وَعِنْدَ هَذَا السُّؤالِ ظَهَرتْ عَلَى وَجْهِ مَانكو علاماتُ

الأسفِ ، وَقالَ :

— إنَّهُمْ بخَيْرٍ الآنَ ، وَلَكِنَّ هؤلاء الهنودَ شرِّيرُونَ ، وَهُمْ أعداءُ قَبيلتِي ، وَلا أعْرِفُ كَمْ مِنَ الْوقْتِ سَيظَلُّ أصدقاؤكما فِي أَمَانٍ .

وَشَعَرَ طريفٌ وَعَزَّةُ بالأسفِ وَالحُزْنِ ، مِنْ أَجْلِ أَصْدِقائِهما . وَبَعْدَ أَن تَدبَّرا الأمرَ مَعاً ، قرَّرَا أَنْ يَتْبَعا أصدقاءهما وَيُحاولا أَنْ يُنْقِذَاهم مِن ذلك الخَطرِ الجديدِ . وَوَعدَهما مانكو بمساعدتِهما ثم اختَفَى فِي الْغابةِ لِيعُودَ بَعْدَ قَليلٍ وَمَعَهُ اثْنا عَشَرَ مُقَاتِلاً قوياً مِنْ أَبناء قبيلتِهِ . وأخرجَ الهنودُ ثلاثةَ قواربَ طَويلةٍ كانَتْ مخبَّأةً بَيْنَ الأعْشابِ عَلَى شاطىء الخَليجِ . وَسَرعانَ مَا كانَ طريفٌ وعَزَّةُ وَصديقُهما مَانكو وَالمقاتِلُونَ الْهُنودُ يَنْدَفِعُونَ عَلَى صَفْحَةِ المياهِ فِي قواربِهم الطويلةِ ، وَاتَّجَهُوا شمالاً بَيْنَ بَعْضِ الْجُزُرِ الصَّغيرةِ الْمُغَطَّاةِ

بالغابَاتِ وَالأدْغَالِ ، وَفِي أَوَّلِ الأمرِ كانَ الْهُنُودُ يحدِّقُونَ بقُوةٍ وَبسُرْعةٍ إلَّا أَنَّهُمْ بَعْدَ مدةٍ مِنَ الوقتِ بَدَءوا السيْرَ بحَذَرٍ شدِيدٍ وَأَخَذُوا يتقدَّمُون بِبُطْءٍ ، وَسَارَ أَحَدُ الزوارقِ فِي الْمُقَدِّمةِ وَبَدأَ رُكَّابُه يَبْحَثون بأعينِهم الحادةِ عن أَىِّ أَثرٍ للأَعْدَاءِ حَتَّى وَصَلوا إِلَى جَزِيرةٍ صَغِيرةٍ تبعُد حوالَىْ مائتىْ مترٍ مِنَ الشَّاطىءِ وَتقعُ فِي مُوَاجَهَةِ مصبِّ نهرٍ ضيقٍ . وَأَشارَ مانكو إلى النَّهر وقال :

— إنَّ أَعْداءَ مَانكو يَعيشُون فِي هَذِهِ الجزيرةِ ، وقد ذهبتْ السفينةُ إلى هناك وعليْها أَصدقاؤكمُ ... ! ! إنَّ الْهُنُودَ الذِين يَسْكُنُون هذه الْمِنطقةَ أَشْرَارٌ .

وَبدَا لِطريفٍ وَعَزَّةَ أَنَّ الأُمورَ لَيْسَت على مَا يَشْتَهِيان كَمَا يَقولُ مانكو ، إِذْ كَيْفَ يَسْتطِيعان أَنْ يُنقِذا أَصدقاءهُمَا وَيَسْتوْلُوا علَى السفينةِ الطائرِ الأسودِ وَهِىَ فى

قَبْضَةِ الهنودِ الأَشرارِ ؟! وَلَـكِنَّهُما إِذَا لَمْ يستَطِيعاَ إِنْقاذَ أَصدِقائِهما ، وَالاستيلاءَ على السفينةِ ، فليْسَ لَهُما أَىُّ أَملٍ فى الْعَوْدةِ إِلَى وَطنِهما .

أَحستْ عَزَّة أَنَّها عَلَى وَشْكِ الْبُكاء ، وَتَـكادُ الدُّموعُ تَطفِرُ مِنْ عينيْ ا !

وَأَخَذَ طريفٌ ينظرُ — وهو حزينٌ — نحوَ مصَبِّ النهرِ ، وَيسأل نفسه :

— مَاذَا يَجِبُ عَلَى أَنْ أَفْعَلَه ؟

وَفِى تِلْكَ اللَّحْظَةِ رَأَى شَيْئاً هائلاً يَتَحَرَّكُ فِى سُكُون فوْقَ صَفْحَةِ النَّهْرِ الهادِىءِ ، وَفِى اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ تحقَّقَ مِمَّا يَرَاهُ ، فانْطَلَقَ يَصِيحُ :

— انظرِى ياَ عزَّةُ ! ! انظُرِى ! !

نَظَرَتْ عزَّةُ ، ثُمَّ فَرَكَتْ عَيْنَيْهاَ ، وَعَادَتْ تنظرُ مَرَّةً

أخرى . . لَمْ يَكنْ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلْخَطَإِ ، فَقَدْ كانَتْ الطَّائِرُ الأسودُ مُقْبِلَةً مَعَ التَّيَّارِ وَمُؤَخَّرَتُهَا إلى الأمامِ مُتَّجِهَةً إلى الْبَحْرِ . وأخذَ الولَدَانِ وأصدقاؤُهما يُرَاقِبُونَ السَّفينةَ بعضَ الْوَقْتِ ، وهى تنزلقُ ببطءٍ مُتَّجِهَةً إلى البَحْرِ .

وكان طريفٌ يَعْجَبُ من سَيْرِ السفينةِ ومؤخرتُها إلى الأمامِ ! ولَمَّا ازْدَادَ اقترابُ السفينةِ تبيَّنَ لطريفٍ أنَّ أشرعَتَها مَطْوِيةٌ ، كَمَا لَوْ كانَتْ السفينةُ قابعةً فِي الْمَرْسَى . وَبَدَا سَطْحُ السفينةِ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ خالياً .

فأينَ بحارَتُها ؟

وَأَيْنَ الْهُنُودُ الَّذِينَ أَسرُوها ؟

وَأَيْنَ عادلٌ وَبحَّارَةُ زهرةِ البحارِ ؟

وَكَيْفَ تُبْحِرُ السفينةُ ، وَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِها أَحَدٌ ؟

وَنَظَرَ طريفٌ إلى الماءِ فَرَأَى جِذْعَ شجرةٍ ضَخْماً قَدْ خَرَجَ

واخذ الولدان واصدقاؤهما يراقبون السفينة ...

مِنْ مَصَبِّ النهرِ فِى تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَانْدَفَعَ إِلَى الْبَحْرِ فِى سُكُونٍ مَارًّا بِقَارِبِهِم . فَلَمَّا رَأَى طَرِيفٌ هَذَا الْمَنْظَرَ صَاحَ :

— لقد كشفتُ الحقيقةَ يا عزَّةُ .

لَقَدْ سَحَبَ الْهُنُودُ الَّذِينَ أَسَرُوا الطائرَ الأسودَ السفينةَ إلى النَّهْرِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يَرْبِطُونَهَا ، وَلِذَلِكَ تَرَكُوهَا عَائِمَةً دُونَ أَنْ يَعُوقَهَا شَىْءٌ ، وَالآنَ يَدْفَعُهَا المدُّ إلى البحرِ مرةً أخرى . فيجبُ أَنْ نطلبَ مِنْ مَانكو وَأَصْدِقَائِهِ أَنْ يُسَاعِدُونا فى الإِبْحارِ بالسفينةِ ، وَإِخفائُها بينَ بَعْضِ الْجُزرِ الْمُغَطاةِ بالغاباتِ والأشجارِ العاليةِ ، وَبِذَلِكَ نَسْتطيعُ أَنْ نُبْحِرَ عائدِينَ إِلَى الْوَطَنِ بمجردِ إنقاذِ عَادلٍ وَنقلِ الكنزِ إِلَى السفينةِ .

وَفِى ذَلِكَ الْوَقْتِ كانَ الظَّلامُ قدْ أقبلَ ، واستَطَاعَ مَانكو وأصدقاؤُه أَنْ يَفْهَمُوا هَدَفَ طَرِيفٍ بسهولةٍ ، وَسَرْعَان

مَا رَبَطَ الْهُنُودُ الطائرَ الأسودَ بَيْنَ زوارِقهم الثلاثةِ وبدءوا يسحَبُونَها . . وَصَعِدَ طَرِيفٌ إِلَى سَطْحِ السفينةِ حَيْثُ تَحَقَّقَ ظَنُّهُ فلمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ عَلَى سَطْحِ الطائرِ الأسودِ . ولَمْ تَمْضِ سَاعَتَانِ حَتَّى كانت الطائرُ الأسودُ قدِ استقرَّتْ فِي مَخْبَإٍ أَمِينٍ بَيْنَ مجموعةٍ من الْجُزرِ الصَّغِيرَةِ ، واستَلْقَى طَرِيفٌ وَعزَّةُ وأصدقاؤُهما عَلَى سَطْحِ السفينةِ وراحُوا فى سُبَاتٍ عَمِيقٍ من أَثَرِ المجهودِ العظيمِ الَّذِى قَامُوا بِهِ .

وكانتِ الشَّمْسُ قد ارْتَفَعَتْ فِي السَّماءِ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ الْوَلَدَانِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي عَلَى صَرَخَاتٍ وَحْشِيَّةٍ ، فَقَفَزَا وَاقِفَيْنِ ، وَوَجَدَا الْهُنُودَ مُخْتَبِئِينَ ، وَهُمْ يُنْصِتُونَ كُلَّ الإِنْصَاتِ . فأشارَ لَهُمَا مانكو بِيَدِهِ ، فَتَبِعَاهُ إِلَى الشَّاطِىءِ ، ثُمَّ اخْتَرَقُوا الْجَزِيرَةَ إِلَى شَاطِئِهَا الآخرِ . فلما وَقَعَتْ أَعْيُنُ الْوَلَدَيْنِ عَلَى المنظرِ الَّذِى يجرى أمامَهما انطلقَتْ منهما صَيْحَاتُ الخوفِ وَأَسرَعا يختَفِيان

خَلْفَ بَعْضِ الشجيراتِ ، وهما يُرَاقِبَانِ ما يحدُثُ أمامَهُما بِعُيونٍ خَائِفَةٍ . فَقَدْ كانَ هُنَاكَ عِشْرُونَ قَارِباً مَملوءةٌ بالْهُنُودِ قَادِمَةٌ بِسُرْعَةٍ مِنَ النَّهْرِ حَيْثُ كَانتِ السفينةُ الطائرُ الأسودُ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ ، وَكانَ الْهُنُودُ مُسلَّحِين ، وَأَتَى مِنَ الاتِّجَاهِ الْمُضَادِّ كُوهينُ الْيَهُودِيُّ الأحمرُ وقراصِنَتُه فِي أَحَدِ قَوَارِبِ الطائرِ الأسودِ ، وَفِي سِتَّةِ زَوَارِقَ أُخْرَى مِنَ الزَّوَارِقِ الهنديةِ . وَقَالَ مانكو :

— إِنَّ الْهُنُودَ يَبْحَثُونَ عَنِ السفينةِ ، وَإِنَّ الرجالَ القراصِنَةَ الْأَشْرَارَ يَبْحَثُونَ عَنِ السفينةِ أَيْضاً ، وَهُمْ بعضُهم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . فلا القراصنةُ يُحِبُّونَ الهنودَ ، ولا الهنودُ يُحِبُّونَ الْقَرَاصنةَ ! فيمكِنُكُما إِنْقَاذُ أَصْدِقَائِكُما والمعْركةُ قائمةٌ بين القراصنةِ الْأَشرارِ والهنودِ .

فلما سمع طريفٌ كلامَ مانكو قَفَزَ وَاقِفاً ، وَهُوَ يَقُول :

— هَيَّا بِنَا يَا عَزَّةُ . إِنَّ مانكو عَلَى حَقٍّ . إِنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُنْقِذ عَادِلاَ وَرِجَالَه فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتَقَاتَلُ فيه كُوهينُ الأحمرُ مع الهنودِ .

ولم تكن عزَّةُ فِي حَاجَةٍ إلى التشجيعِ ، فقد انْدَفعَ الأصدقاءُ الثلاثةُ عائِدِينَ من حَيْثُ أَتَوْا . وَفِي هَذَا الْوَقْتِ تَعَالَتْ الصَّيْحَاتُ ، وَأَصْوَاتُ الطَّلَقَاتِ النَّارِيةِ مُعْلِنَةً بَدْءَ المعركةِ . وَنَادَى مانكو رِجَالَه الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ عَلَى سَطْحِ الطائرِ الأسودِ ، فأَسْرَعُوا بالنُّزُولِ إِلَى الشَّاطىءِ . وَأَسْرَعَ الْجَمِيعُ يُجَدِّفُونَ نَحْوَ النَّهْرِ الَّذِي يُوجَدُ أَصْدِقَاؤُهُمْ الْأَسْرَى عَلَى شَاطِئِهِ . وَأَخَذَتْ أَصْوَاتُ المعركةِ تَخْفُتُ شَيْئاً فَشَيْئاً ، كُلَّمَا ابْتَعَدُوا عَنْ مَكانِهَا . وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْقَرَاصنةَ سَيَخْسَرُونَ الْمَعْرَكَة ، وَقَدْ طَارَدَهُمْ خُصُومُهم إِلَى الشَّاطىءِ ، حَتَّى أَنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَ طَرِيفٌ وَزُمَلاَؤُهُ إِلَى النَّهْرِ

كانَتْ أَصْوَاتُ الطَّلَقَاتِ وَالصَّيْحَاتُ قَدْ خَفَتَتْ وَاخْتَفَتْ .

وَمَضَتْ جَماعةُ الإنقاذِ فِي طريقِها بِحَذَرٍ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَكونَ هُنَاكَ جَوَاسِيسُ يُرَاقِبُونَ الطَّرِيقَ . وَكَانَتْ هناكَ غَابَاتٌ وَأَدْغَالٌ كثيفةٌ لَا يُمكِنُ اخْتِرَاقُهَا عَلَى شَاطِىءِ النَّهرِ . وَسَارَتِ الْقَوَارِبُ مسافةً تَقْرُبُ مِنَ الميلِ ، فبدَتْ فتحةٌ فِي الأشجارِ على أَحدِ شاطِئَيِ النَّهْرِ ، وَفى نَفْسِ الوَقْتِ انبعثَتْ صيحةُ تحذيرٍ عاليةٌ مِنَ الْغَابةِ ، وَنَظَرَ الولَدَانِ فإِذَا اثْنَا عَشَرَ هندياً عجوزاً وَجَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالأَطْفالِ قد تجمَّعُوا على الشَّاطِىءِ يَرْقُبُونَ قُدُومَهُم فِي خَوْفٍ وَذُعْرٍ ظَاهِرَيْنِ . وَأَخذ مانكو وَرِجَالُه يجدِّفُون بقوةٍ ، وَانْبَعَثَتْ مِنْ حناجِرِهم صَيْحَاتٌ وَحْشِيةٌ ، وَعندئذٍ اندَفعَ الْجَمْعُ الَّذِى على الشاطىءِ هارباً أمام تِلْكَ الصَّرَخاتِ الوحشيةِ ، وَخَوْفاً من مَنْظرِ الهنودِ وَهُمْ يُجَدِّفون بِقُوَّةٍ فِي اتِّجاهِهِم . وَكانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّ الْعَجَائِزَ

وَالنِّساءَ وَالأطفالَ هُمْ فَقَطْ الَّذِين تُرِكُوا فِي الْقَرْيَةِ حِينما خَرَجَ الرجالُ وَالْمُقَاتِلُونَ لاستعادةِ السفينةِ الطائرِ الأسودِ، فلَمَّا رَأَى هؤلاء الْعَجَائِزُ أعداءهم تفرَّقُوا هَارِبين فى هَرْجٍ وَمَرْجٍ تاركين القَرية تحتَ رَحْمَةِ الْقَادِمِين .

ولم تَنْقَضِ ثلاثُ دَقَائِقَ حَتَّى وَصلتْ جماعةُ الإنقاذِ إلَى الشاطىء ، وَأَسْرعَ الْهُنُودُ يَنْتَقِلُونَ مِنَ كوخٍ إلَى كُوخٍ باحثِين عَنِ الْغَنَائِمِ وَالأسْلَابِ ، فِي الْوَقْتِ الذى قَاد فيه مانكو الولَدَيْنِ إلَى بناء كبيرٍ فِي وَسَطِ الْقريةِ . وَلَكنَّ الأَسْرَى لَمْ يكونوا هناكَ كما توقَّعَ الْأَوْلَادُ ، وكذلك لم يُسفِرْ البَحْثُ السَّرِيعُ الَّذِى قاموا به خِلَالَ الْغَابَةِ عَنْ نَتِيجةٍ أَو شَىْءٍ يُبَيِّنُ لهم مَكانَ أصدقائِهم الأَسْرَى .

وَنَظَرَ طريفٌ إلَى مَانكو بِقَلَقٍ .. فهل أخطَئوا وَجاءوا إلَى مَكانٍ غير الذى فيهِ عادلٌ ؟ !

ثُمَّ وَضَعَ طريفٌ يَدَيْهِ حَوْلَ فَمِهِ وَصَاحَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ :

— عَادِلُ !!! عَادِلُ !!!

ثم انْتظر لَعَلَّهُ يسمعُ أَحداً يَرُدُّ عَلَيْهِ .

وَانْقَضَتْ عِدَّةُ ثوانٍ فى سُكُونٍ ، ثُمَّ جاءَتْ من الاحْراجِ الْمُحِيطةِ بالقريةِ صَيْحَةٌ ضَعِيفةٌ تَرُدُّ على صَيْحَةِ طريفٍ . وفى اللَّحْظةِ التاليةِ كان طريفٌ وَعَزَّةُ يَجْريَانِ فى اتِّجاهِ الصَّوْتِ وَمَانكو يَتْبَعُهُمَا ، وَبَعْدَ أَنْ قَطَعَا نحْوَ مائةِ مترٍ وَصَلَا إِلَى بُقْعةٍ خَاليةٍ مِنَ الأَشْجارِ ، غُرِسَت فيها أَعمِدَةٌ قويةٌ وإلى كلِّ عمودٍ كانَ وَاحدٌ من أصدقائِهم مربوطاً ! !

اسْتَغْرَقَ تَخْليصُ الْبَحَّارةِ مِنْ قُيُودِهِم بَعْضَ الوقْتِ ، وَكانَ كَثِيرٌ مِنْهُم لاَ يَكادُ يَقْوَى عَلَى الوُقُوفِ أَوِ الْمَشْيِ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ ، وَصَاحَ طريفٌ :

— يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ يَا عَادِلُ فإِنَّ الطائرَ الأَسودَ فِى

قَبْضَتِنَا ، وَقَدْ أَخْفَيْنَاهَا بَيْنَ بَعْضِ الْجُزُرِ ، وَيَجِبُ أَنْ نَعُودَ إِلَيْهَا قبلَ أَنْ يَعُودَ الهنودُ الَّذِينَ أَسَرُوكم .

فَجَمَعَ عَادِلٌ أَقْوَى بحارةِ زَهْرَةِ البحارِ ، وَبمعاوَنَةِ مانكو وَرِجَالِهِ اسْتَطَاعُوا حَمْلَ زُمَلَائِهِم الضُّعَفَاءِ إِلَى النَّهْرِ حَيْث وَجَدُوا بعضَ القواربِ الخاصَّةِ بأهلِ القريةِ ، وَسُرْعَانَ مَا كَانَ الْجَمِيعُ يجدِّفُونَ بِقُوَّةٍ هَائِلَةٍ نحوَ الطائرِ الأسودِ ، وَنحوَ الْحُرِّيَّةِ .

وَبَعْدَ سَاعَةٍ وَصَلُوا إِلَى السفينةِ ، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى جَاءَ مانكو يحملُ أَخْبَاراً .. هذه الْأَخْبَارُ هِيَ أَنَّ أُسْطُولَ الهنودِ قَدْ عَادَ مِن المعْركةِ ، وَأَنَّ هُنَاكَ عِدَّةَ قَرَاصِنَةٍ أَسْرَى فى القواربِ الْهِنْدِيَّةِ . فلما سمع عادلٌ ذَلِكَ الْتَفَتَ إلى طريفٍ وقال له :

— يَبْدُو لِى يَاصَدِيقِى الصَّغِيرَ أننى أنا وجميعَ بحَّارَتى

مَدِينُون بِحَيَاتِنَا لَكَ ، وَلِلآنسةِ الصغيرةِ عَزَّةَ . والآن سيحِنُّ بِنَا أَنْ نُقْلِعَ بالسفينةِ إِلَى عَرْضِ البحرِ ؛ لأَنَّ هؤلاءِ الْهُنُودَ الأَوْغادَ عِنْدَمَا يكْشِفُونَ هَرَبَنَا سَيَعُودُونَ لِلْبَحْثِ عَنَّا ، وَأَنَا لا أُرِيدُ أَنْ نَقَعَ ثانيةً فِي قبْضَتِهِم .

فَصَاحَتْ عَزَّةُ :

— وَلَكِنَّ الْكَنزَ يا عَادِلُ ! الْكَنْزَ ! هَلْ تُبْحِرُونَ دُونَ أَنْ نَأْخُذَ الكَنْزَ ؟

فَصَاحَ عَادِلٌ وَعِمَادٌ و نبيلٌ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ :

— الْكَنْز ! لَقَدْ فَهِمْنَا مما قالَه كُوهِينُ الْأَحْمَرُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ كَنْزٌ !

فَصَاحَ طَرِيفٌ مَزْهُوًّا :

— لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ كَنْزٌ عِنْدَمَا بَحَثَ القراصنة ، وَلَكِنَّنَا وَجَدْنَاهُ ، وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَنْقُلَه غَدًا صَبَاحًا إِلَى السفينةِ ، نُقْلِعَ فِي طَرِيقَنَا إِلَى الوطنِ .

بَعْد أَنْ أَعلنَ طريفٌ نبأَ الكنزِ ، أَخَذَ يقُصُّ قِصَّتَه كُلَّهَا عَلَى عَادلٍ وَعمادٍ وغيرِهما مِنْ بحارةِ زهرةِ البحارِ ، وَخاصَّة صديقَيْهِ نبيلًا وَشَعْبانَ ، وكانُوا يُنْصِتُون إليه باهتمامٍ شديدٍ ممزوجٍ بِالفرحِ والتقديرِ وَالإِعْجابِ . وَلَمَّا انْتَهَى مِنْها انْهالَ الثناءُ وَالمديحُ عليْه من عادلٍ ومن جَمِيعِ الرِّجال .

وَقال عادلٌ :

— أَعْتَقِدُ الآنَ أَنَّهُ مِنَ الصَّوابِ أَنْ نَبْقَى حَيْثُ نَحْنُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، فَلَنْ يَبْحَثَ الْهُنُودُ عنَّا قَبْلَ الصباحِ — وَلَا سِيَّمَا أَنَّهُ من الخَطَرِ مُحَاولةُ الإبحارِ بالسَّفِينةِ خِلَالَ هَذِهِ الْجُزُرِ فى الظلامِ .

وَهَكذا تقرَّرَ أَنْ تَبْقَى السفينةُ الطائرُ الأَسودُ مكانَها حتى الصَّباحِ التالِى ، عِنْدَمَا يُصْبِحُ فِى الإِمْكَانِ الْبدء فِى نَقْلِ

الكنز من مخبئه إليها ، وما إن هبط الظلام حتى آوى الجميع إلى مضاجعهم يلتمسون شيئاً من الراحة ، وكانوا كلهم في حاجة ماسة إليها بعد أن أمضوا أسابيع طوالا في تعب شديد ، كان من أثره أن الأقوياء منهم دون غيرهم هم الذين كانوا قادرين على العمل .

وكانت الليلة حارة ، فلما لم يستطع طريف وعزة أن يناما في المقصورة صعدا إلى سطح السفينة حيث أخذا يستنشقان النسمات الباردة التي تهب من البحر . وفجأة لاحظا السكون السائد حولهما ، فأخذا يبحثان عن الرجل المكلف بالحراسة ، فلم يجداه ... وبدأ الخوف يداخلهما ، وأخذا يبحثان في سطح السفينة كله ولكن الظلام لم يمكنهما من رؤية الحارس وهو نائم بجوار بعض الحبال . وبينما كانا يتناقشان فيما إذا كان من الصواب إيقاظ عادل

وَعماد وَصَلَ إلى سمعهما مِن خِلالِ الظلامِ صَوتُ مجادِيفَ تضرِبُ صفحةَ المياهِ .

وَقَف الولدانِ فِي سُكُونٍ وَأَرْهفَا سَمْعَهما وَأَنْصتَا ... وَكَانَ الْهُدُوء سائداً فاسْتَطَاعَا أن يميِّزَا صَوتَ ضرباتِ الْمَجَادِيفِ مرَّةً وَمرَّاتٍ ، ثم سَمِعا هَمْساً يَدُورُ ، وَكَانَت الكلماتُ وَاضحةً بسببِ الهدوءِ الشَّامِلِ ، فَسَمِعَا صوتاً يَقُول :

— اللَّعنَةُ على هذَا الظلامِ !

إِنَّنى أُقْسِمُ أَنَّ السفينةَ قريبةٌ مِنَّا !

لَقَدْ رَأَيتُ الصَّارىَ الكبيرَ فِي هَذَا الصَّبَاحِ قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْنا هؤلاءِ الْهُنُودُ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ الظلامَ اللَّعِينَ يَمْنَعُ الرؤيةَ ، وَقدْ تكونُ عَلَى بُعْدِ مترٍ وَاحدٍ مِنَّا وَلَا نَرَاهَا .

وَكَانَ هَذَا الصَّوتُ هُوَ صَوْتَ كوهينَ اليهودىِّ الأَحمرِ . فانْكَمَشَ الولدانِ وَأَمْسَكَ كُلٌّ مِنْهُما بِالآخَرِ ، وَقَدْ أَصَابَهُمَا

ذعرٌ مفاجىء ! ! فلمَّا سَمِعاَ صَوْتَ المجَاديفِ تضربُ الماءَ ثانيةً اندَفَعَا إِلَى أَسْفلِ السفينةِ مُسْرِعَيْنَ ليحذِّرَا أَصدقاءَهما فِي جَوْفِ السفينةِ ، فلمَّا انتَهيَا إِلَى حَيْثُ ينامُون صاحَا فِي صوْتٍ مَخْنُوق مَحْبُوسٍ :

— اسْتيقظُوا ! ! اسْتيقظوا ! ! لَقَد أَتَى القراصنةُ .

استمرَّ الوَلَدَان يَعْدُوَانِ بينَ المقَاصِير ، وَيتنقَّلان مِنْ مقصورةٍ إِلَى مَقْصُورةٍ فِي خِفَّةٍ وَعَجَلةٍ وَحَـــذَرٍ وَخَوْفٍ وَاضْطِرابٍ . . ! ! فأيْقَظَا عَادِلاً وَعماداً وَ بَاقِيَ السَّادةِ ، ثم عَادَا إِلَى بُرْجِ السفينةِ فَأَيْقَظَا البحّارةَ ، وَأَخبَراهم بالخَطرِ الَّذِى يَتَهَـــدَّدُهم ، فتجمَّعَ بَحّارَةُ السفينةِ زَهرةِ البحَارِ بهدوءٍ وَ بلا ضَوْضَاء فوقَ سَطحِ الطَّارِ الأسودِ وَقد تسلَّح كل منهم بمَا اسْتَطَاعَ الوصولَ إِليهِ مِن سلاحٍ . وَوَقف الجَمِيعُ على أُهْبَةِ الاستعدَادِ لصدِّ أَىِّ هجومٍ مفَاجىء . وَوَقف عادلٌ

استيقظوا ! ! استيقظوا ! ! لقد أتى القراصنة ! !

وَعمادٌ يتحدَّثانِ هَمْساً . وَسَأَلَ عادلٌ طريفاً :

— هل أَنت وَاثقٌ أنه كانَ صَوتَ كُوهينَ اليَهُودىِّ الأَحمرِ ؟ ؟ ! !

فأَجابه الصَّبِيُّ قَائلاً :

— بالتأْكِيدِ كَانَ صوتَ كوهينَ الأَحمرِ يا عادلُ .

فَقَالَ عَادِلٌ :

— إِذنْ ، لَم يتمكَّنِ الهنـودُ مِنَ الْقضَاءِ عَلَى الْقَرَاصنةِ الأشقياءِ ! !

فقال عمادٌ :

— إِذَا عَثَرُوا عَلَيْنَا فإِنَّهُمْ سيكُونُون رِجالاً يَائِسِينَ لأَنَّ الطائرَ الأسودَ هِيَ أَمَانُهُمُ الوَحيدُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الوَطَنِ ؛ وَقتالُ الْيَائسِ المستَميتِ فيه مرَارَةٌ وَقسوةٌ وَوَحْشِيةٌ . هَلِ الْبنَادِقُ مَحْشُوَّةٌ ؟ ! لعلَّهُم لا يتمكَّنُونَ مِنَ الْعُثُورِ علينا فِي هذا الظلامِ .

— عَجَبًا !!! إِنَّنِي لم أَعُدْ أَسْمَعُ أَصواتَهُمْ .

لَمْ يَكَدْ عادلٌ يَنْتَهِى مِنْ كَلَامِهِ حتَّى سَمِعَ صَوْتَ صَدْمَةٍ خافِتةٍ فِى جَانِبِ السَّفينةِ الطائرِ الأَسْوَدِ ، وَفِى اللَّحْظَةِ التَّالِيةِ سَمِعوا صوتًا خَشِنًا يقول :

— هَذِهِ هِيَ السفينةُ . عَثَرْنا عَلَيْها أَيُّهَا الرُّبَّانُ .

— إِنَّنَا لَا نسمعُ صوتًا .

— يَبْدُو أَنه ليسَ هناكَ أَحَدٌ عَلَى سَطْحِها .

— لقد عَثَرْتُ عَلَى أَحَدِ الحبالِ ، وَعِنْدَمَا أَصعَدُ إِلَى السطْحِ سأُدْلِى الحَبْلَ لِتُرْسِلَ إِلينا مصباحًا أَيُّهَا الرُّبَّانُ ، وسأُعطيكم إِشارةً بالمِصْباحِ .

سَمِعَ الجميعُ بعْدَ ذَلِكَ صوت شخْصٍ يَتَسلَّقُ جَانِبَ السفينةِ ، ثم أَعْقَبَ ذَلِكَ صوتُ ضَرْبةٍ قَوِيةٍ عِنْدَما ضَربَ أَحدُ الْمُدَافعينَ القُرْصَانَ الَّذِى سقَطَ فِى الْقَاربِ ، وَكذَلِك

انْبَعَثَ صَوْتُ كوهينَ الأَحمرِ ، وَهُوَ يَأْمُرُ رِجَالَه بِتَسَلُّقِ جَوَانِبِ السفينةِ وَالاستيلاء عَلَيْهَا ، وَقَتْلِ كُلِّ مَنْ يَعْتَرِضُ سَبِيلَهُمْ .

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ انْبَعَثَ مِنْ أَمْكِنَةٍ أُخْرَى أَصْوَاتُ مَجَادِيفَ لِقَوَارِبَ أُخْرَى محملةٍ بالقراصنةِ ، أَسْرَعُوا إِلَى زَعِيمِهِم لِيُعَزِّزُوا الْهُجُومَ عَلَى السفينةِ ، وَبَدَأَتْ مَعْرَكَةٌ رَهِيبَةٌ فِي الظَّلَامِ ، وَأَطْلَقَ بحارةُ زَهْرَةِ البحارِ مَدَافِعَ الطائرِ الْأَسْوَدِ ، فانْبَعَثَ لَهَبٌ شَدِيدٌ وَأَصْوَاتٌ كَالرَّعْدِ ، وَلَكِنَّ الطلقاتِ أَخْطَأَتْ زَوَارِقَ القراصنةِ بسببِ الظَّلَامِ الشَّدِيدِ ! وَلَمْ تَمْضِ دَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ حَتَّى كَانَ القراصنةُ يَنْدَفِعُونَ مُتَسَلِّقِينَ جَوَانِبَ السفينةِ الطائرِ الأسودِ ، وَيَنْدَفِعُونَ إِلَى سَطْحِهَا .

وَأَظْهَرَ عَادِلٌ وَعِمَادٌ وَرِجَالُهُمَا شَجَاعَةً فَائِقَةً فِي الاحْتِفَاظِ بِمَوَاقِعِهِمْ ضِدَّ الْقَرَاصِنَةِ الْمُهَاجِمِينَ ، حَتَّى لَقَدِ اسْتَطَاعُوا قَهْرَ

القراصنةِ وَأَرْغَمُوهُمْ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى تَوَارِيهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَلَكِنَّ كُوهِينَ الْيَهُودِيَّ الْأَحْمَرَ وَرِجَالَهُ كَانُوا لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يُعَاوِدُوا الْهُجُومَ بِعُنْفٍ أَشَدَّ ؛ فَبَدَأَ الْمُدَافِعُونَ يَتَقَهْقَرُونَ خُطْوَةً فِي إِثْرِ خُطْوَةٍ حَتَّى تَمَكَّنَ الْقَرَاصِنَةُ مِنَ الاسْتِيلَاءِ عَلَى نِصْفِ السفينةِ . وَانْفَصَلَ الْمُقَاتِلُونَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِضْعَ لَحَظَاتٍ ، فَقَدْ سَقَطَ قَتْلَى كَثِيرُونَ مِنَ الطَّرَفَيْنِ فِي الْمَعْرَكَةِ ، ثُمَّ شَقَّ صَوْتُ كوهينَ الأحمرِ أَحْشَاءَ الظلامِ يقول :

— اسْتَمِعْ إِلَى مَا سَأَقُولُهُ يَا عَادِلُ : إِنَّنَا نَفُوقُكُمْ فِي الْعَدَدِ وَالْقُوَّةِ ، وَأَنْتُمْ ضِعَافٌ بِتَأْثِيرِ الْأَسْرِ الطَّوِيلِ ، فَإِذَا اسْتَأْنَفْنَا الْقِتَالَ فَسَيَنْتَهِي الْأَمْرُ بِقَتْلِكُمْ جَمِيعاً ، وَاسْتِيلَائِنَا عَلَى السفينةِ . وَلِذَلِكَ أُقَدِّمُ لَكَ عَرْضاً يَا عَادِلُ : سَلِّمِ السفينةَ لِي وَسَأَتْرُكُكُمْ تَذْهَبُونَ إِلَى حَالِ سَبِيلِكُمْ ، وَرُبَّمَا وَاتَتْكُمُ

الْفُرْصَةُ لِلرُّجُوعِ إِلَى الْوَطَنِ عَلَى ظَهْرِ سَفِينَةِ غَيْرِ الطائرِ الأسودِ . وَإِذَا رَفَضْتَ التَّسْلِيمَ فَلَنْ يَبْقَى رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْكم عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ خِلَالَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَتَوَقَّفَ كُوهِينُ الْأَحْمَرُ عَنِ الْكلامِ بِضْعَ لَحَظَاتٍ ، وَاسْتَمَرَّ الشُّكُونُ بُرْهَةً أُخْرَى قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ عَادِلٌ ، ثُمَّ قال :

— إِنِّي لَنْ أُسَلِّمَ السَّفينةَ لَكَ أَيُّهَا الْوَغْدُ الأَحْمَقُ ، وَلَنْ تَنَالَ مِنِّي سِوَى حَبْلٍ وَأُنْشُوطَةٍ حَوْلَ عُنُقِكَ .

وَقُوبِلَتْ كلماتُ عَادِلٍ الشُّجَاعَةُ بِعَاصِفَةٍ مِنْ صَيْحَاتِ الْغَضَبِ والاسْتِنْكارِ ، وَسَمِعَ الْجَمِيعُ كُوهِينَ الْأَحمرَ ، وَهُوَ يَأْمُرُ رِجَالَه القراصنةَ بِمُعَاوَدَةِ الْهُجُومِ .

كَانَ طَرِيفٌ وَعَزَّةُ وَاقِفَيْنِ فِي مُؤَخَّرَةِ السفينةِ خَائِفَيْنِ مذْعُورَيْنِ يَتَتَبَّعَانِ الْمَعْرَكَةَ ، وَعَزَّةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِذِرَاعِ طَرِيفٍ .

قالَتْ عَزَّةُ :

— إِنَّ هَذَا فَظِيعٌ ! أَلاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَاعِدَهُمْ ! إِنَّ عَادِلاً وَجَمِيعَ رِجَالِنَا سَيُقْتَلُونَ إِذَا اسْتَمَرَّ الْقِتَالُ .

وَفَكَّرَ طَرِيفٌ لَحْظَةً ، ثم قال :

— أَيْنَ مانكو ؟

فَأَجَابَتْ عَزَّةُ :

— لَقَدْ أَقَامَ هُوَ وَرِجَالُهُ مُعَسْكَرًا عَلَى الْجَزِيرَةِ .

فَنَالَ طَرِيفٌ :

— إِذَنْ يَجِبُ أَنْ نَعْثُرَ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَمْكَنَنَا أَنْ نُحَرِّضَهُمْ عَلَى أَنْ يَهْجُمُوا عَلَى الْقَرَاصِنَةِ مِنَ الْخَلْفِ ، فَإِنَّهُ يَكُونَ هُنَاكَ أَمَلٌ فِي أَنْ نَكْسِبَ المعركة ، وَفِي أَلاَّ يُقْتَلَ رِجَالُنَا .

وَلَمْ تَكُنْ مُؤَخَّرَةُ السَّفِينَةِ الطائرِ الأسودِ تَبْعُدُ عَنِ الشَّاطِىءِ سِوَى أَمْتَارٍ قَلِيلَةٍ . فَلَمْ تَنْقَضِ دَقِيقَتَانِ حَتَّى كَانَ

الْوَلَدانِ وَاقِفَيْنِ عَلَى شَاطِىءِ الْجَزِيرَةِ ، وَكانَ الظلامُ حَالِكًا وَشَدِيدَ الْحُلُوكَةِ ، وَخَاصَّةً بَيْنَ الْأَشْجَارِ . وَحَارَ طَرِيفٌ أَىَّ طَرِيق يَتَّخِذ ، وَهُوَ لاَ يكادُ يَرَى شَيْئًا حَوْلَه .

وَعِنْدَئِذٍ انْبَعَثَتْ مِنَ السفينةِ أَصْوَاتُ مَعْرَكَةٍ جَدِيدَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَقْتٌ يُمْكِنُ إِضَاعَتُهُ إِذَا كانَا يُرِيدَانِ إِنْقَاذَ أَصْدِقَائِهِمَا . فَأَخَذَا يَجْرِيَانِ ، وَهُما يُنَادِيَانِ صَدِيقَهُمَا :

— مانكو ! مانكو !

وَلَمْ يُبَالِيَا بِمَا يُصِيبُهُمَا مِنْ ضَرَبَاتِ فُرُوعِ الْأَشْجَارِ فِى الظَّلامِ ، أَوْ الْوُقُوعِ فَوْقَ الشُّجَيْرَاتِ الشَّائِكَةِ الَّتِى مَزَّقَتْ مَلاَبِسَهُمَا .

وَبَعْدَ أَنْ ظَلاَّ يَجْرِيَانِ مُدَّةً مِنَ الْوَقْتِ ، سَمِعَا صَوْتًا يُجِيبُهُمَا مِنْ أَحْشَاءِ الظَّلاَمِ :

— مَاذَا تُرِيدُ يَا طَرِيفُ ؟ ! إِنَّنِى مَانْكُو !

وَاجْتَهَدَ الْوَلَدَانِ فِي شَرْحِ الْأَمْرِ للصبيِّ الْهِنْدِيِّ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْقَرَاصنةَ الَّذِينَ سَبَقَ أَنْ هَجَمُوا عَلَى قَرْيَتِهِ هُمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ أَصْدِقَاءَهُمَا ، وَعَدَهُمَا بِالْمُسَاعَدَةِ ، وَقَالَ لَهُمَا :

— امْكُثَا هُنَا رَيْثَمَا أَعُودُ ، وَلَنْ أَتَغَيَّبَ طَوِيلاً .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ كَانَ الصَّبِيُّ الْهِنْدِيُّ قَدْ اخْتَفَى فِي ثَنَايَا الظَّلَامِ ، وَبَقِيَ الْوَلَدَانِ وَحْدَهُمَا ، فَأَخَذَا يُنْصِتَانِ بِانْتِبَاهٍ وَقَلَقٍ إِلَى أَصْوَاتِ الْمُتَقَاتِلِينَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ الَّتِي كَانَتْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ خَافِتَةً مِنْ خِلَالِ أَشْجَارِ الْغَابَةِ .

وَكَانَ عَادِلٌ وَرِجَالُهُ مَا زَالُوا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِقُوَّةٍ وَاسْتِمَاتَةٍ ، وَعَادَ الْوَلَدَانِ ثَانِيَةً إِلَى السفينةِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَرَكَاهَا بِهَا ، فَوَجَدَا أَنَّ أَصْدِقَاءَهُمَا قَدْ خَسِرُوا عَدَدًا مِنَ الرِّجَالِ ، فَقَلَّ عَدَدُهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ لِمَعْرَكَةٍ أَخِيرَةٍ يَبْذُلُونَ فِيهَا كُلَّ قُوَّتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ مِنْ أَجْلِ

الحَيَاةِ . وَخَافَ طَرِيفٌ أَنْ يَتَأَخَّرَ أَصْدِقَاؤُهُ الْهُنُودُ ، فَبَدَأَ يَبْحَثُ عَنْ عَادِلٍ ، وَلَكِنَّ الظلامَ كانَ شَدِيدًا ، وَكانَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى أَحَدٍ فِي ذَلِكَ الظَّلامِ . وَلَكِنَّهُ سَمِعَ صَوْتَهُ أَخِيرًا ، وَهُوَ يَحُثُّ رِجَالَهُ عَلَى الصُّعُودِ فِي وَجْهِ القراصنةِ ، فاقْتَرَبَ مِنْهُ طَرِيفٌ وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ :

— اصْمُدُوا قَلِيلاً يَا عَادِلُ ، فالنَّجْدَةُ آتِيةٌ !

فَسَأَلَهُ عَادِلٌ غَيْرَ مُصَدِّقٍ :

— النَّجْدَةُ ؟ ! وَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي النَّجْدَةُ يَا بُنَيَّ ؟ !

فَفَتَحَ طَرِيفٌ فَمَهُ لِيُجِيبَ عَنْ سُؤَالِ عَادِلٍ ، وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يَنْطِقَ كَلِمَةً وَاحِدَةً انْبَعَثَتْ صَرَخَاتٌ شَيْطَانِيَّةٌ مِنْ مُقَدِّمَةِ السفينةِ تَبِعَتْهَا صَيْحَاتٌ مَذْعُورَةٌ مِنَ القراصنةِ . وَخُيِّلَ للأَحْيَاءِ مِنْ بَحَّارَةِ زهرةِ البحارِ أَنَّ مُعْجِزَةً قَدْ حَدَثَتْ ، فَقَدْ وَجَدُوا الْقَرَاصِنَةَ يَفِرُّونَ

مَذْعُورِينَ كَأَنَّمَا سَحَرَهُمْ سَاحِرٌ ، فارْتَفَعَتْ صَيْحَاتُ الْفَرَحِ مِنْ بَحَّارَةِ زَهْرَةِ البحارِ ، وَاندَفَعُوا يَتَعَقَّبُونَ الْقَرَاصنةَ ، وَلَـكِنَّ الْقَرَاصنةَ فِي ذُعْرِهِمْ عِنْدَمَا وَجَدُوا عَدُوًّا خَفِيًّا يَهْجُمُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَلْفِ لم يُبْدُوا شَيْئًا مِنَ الْمُقَاوَمَةِ ، بَلْ اسْتَسْلَمُوا وَأَسْرَعُوا يَقْفِزُونَ إِلَى قَوَارِبِهِمْ وَيُجَدِّفُونَ بِقُوَّةٍ وَبِسُرْعَةٍ مُبْتَعِدِينَ عَنِ السَّفِينةِ لإِنْقَاذِ أَرْوَاحِهِمْ ، وَالاحْتِماءِ بالظَّلامِ .

وَأَسْرَعَ طَرِيفٌ يَقِفُ بَيْنَ رِجَالِ عَادِلٍ ، وَالْهُنُودِ ، وَهُوَ يَصِيحُ :

— إِنَّهُمْ أَصْدِقَاؤُنَا ! إِنَّهُمْ أَصْدِقَاؤُنَا !

وَحَسَنًا فَعَلَ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَانْقَضَّ الْهُنُودُ عَلَى رِجَالِ عَادِلٍ فِي الظَّلامِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ أَعْدَاءٌ ، فَيُقَاتِلُ رِجَالُ زَهْرَةِ الْبِحَارِ الْهُنُودَ بِأَسْلِحَتِهِمْ أَيْضًا دِفَاعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ .

وَأَمَرَ عَادِلٌ بِإِحْضَارِ الْمَصَابِيحِ . وَانْصَرَفَ بَعْضُ الْأَحْيَاءِ

مِنْ بَحَّارَةِ زهرةِ البحارِ إِلَى الاِعْتِنَاءِ بالْجَرْحَى ، وَتَنْظِيفِ سَطْحِ الْمَرْكَبِ مِنْ آثَارِ الْمَعْرَكَةِ الدَّامِيَةِ الَّتِي كانَتْ ناشِبَةً .

وَفَرِحَ الْوَلَدانِ عِنْدَمَا وَجَدَا أَنَّ أَصْدِقَاءَهما لَمْ يَخْسَرُوا أَرْوَاحاً كَثِيرَةً كَمَا كانَا يَتَوَقَّعَانِ . وَكانَ عَادِلٌ سَلِيمًا لَمْ يُصَبْ بِأَذًى ، وَكَذَلِكَ نَبِيلٌ وَعِمَادٌ وَصَدِيقُهُمْ شعبانُ الْعَجُوزُ . وَبِمُجَرَّدِ أَنْ أُزِيلَتْ آثَارُ الْمَعْرَكَةِ مِنْ فَوْقِ سَطْحِ السفينةِ نَادَى عَادِلٌ الطفلَيْنِ طَرِيفاً وَعَزَّةَ ، وَشَكَرَهما عَلَى ما قامَا بِهِ مِنْ أَعمالٍ أَنْقَذَتْ أَرْوَاحَ أَكْثَرِ مَنْ كانَ عَلَى السَّفِينةِ ، وَجَعَلَتْهُمْ يَنْجُونَ نَجَاةَ الْمُنْتَصِرِينَ .

وَانْقَضَتِ اللَّيْلَةُ دُونَ أَنْ يَغْمِضَ جَفْنٌ لِأَحَدٍ مِمَّنْ كانُوا عَلَى الطَّائِرِ الْأَسودِ ، وَمَا كادَ يُشْرِقُ الصَّبَاحُ حَتَّى أَبْحَرَتِ الطائرُ الأسودُ مُتَّجِهَةً إِلَى الْخَلِيجِ الصغيرِ الَّذِي جَنَحَتْ فِيهِ السفينةُ المفقودةُ ، وَكانَتْ دهشةُ عادلٍ عظيمةً عندما أَرَاه

الولدان السَّفينةَ المفقودةَ ، وَقَد اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ أَشْجَارِ الْغَابَةِ . وَأَغْدَقَ عَلَيْهِمَا ثَنَاءً كَثِيرًا عِنْدَمَا عَرَفَ مِنْهُمَا الطَّرِيقَةَ الَّتِي نَقَلَا بِهَا الْكَنْزَ مِنْ مَكَانِهِ إِلَى مَخْبَئِهِ الْجَدِيدِ ، فَأَنْقَذَاهُ مِنْ أَيْدِي كُوهِينَ الْيَهُودِيِّ الْأَحْمَرِ وَرِجَالِهِ .

وَبَدَأَ الْجَمِيعُ فِي الْعَمَلِ بِهِمَّةٍ لِنَقْلِ الْكَنْزِ إِلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ الطَّائِرِ الْأَسْوَدِ . فَمَا كَادَ يَنْقَضِي ثُلُثَا النَّهَارِ حَتَّى كَانَ الْكَنْزُ كُلُّهُ قَدِ انْتَقَلَ مِنْ مَكَانِهِ تَحْتَ الرِّمَالِ إِلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ الطَّائِرِ الْأَسْوَدِ ، حَيْثُ وُضِعَ فِي الْمَقْصُورَةِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلسَّفِينَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ سِوَى أَنْ يُوَدِّعَ طَرِيفٌ وَأَصْدِقَاؤُهُ — أَصْدِقَاءُهُمْ مِنَ الْهُنُودِ الَّذِينَ سَاعَدُوهُمْ مُسَاعَدَةً جَلِيلَةً . فَأَهْدَى طَرِيفٌ وَعَادِلٌ وَرِجَالُهُ إِلَى الْهُنُودِ سُيُوفًا ، وَخَنَاجِرَ وَأَسْلِحَةً قَيِّمَةً ، كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ لِلْهُنُودِ أَفْضَلَ مِنْ أَيِّ كَنْزٍ . وَكَانَ آخِرُ عَهْدِ طَرِيفٍ وَعَزَّةَ بِصَدِيقِهِمَا مَانْكُو

شَبَحًا نَحِيفًا وَاقِفًا عَلَى الشَّاطِىءِ ، وَهُوَ يُلَوِّحُ لَهُمَا بِيَدِهِ مُوَدِّعًا حِينَمَا كَانَتِ السَّفِينَةُ الطَّائِرُ الْأَسْوَدُ فِى طَرِيقِهَا إِلَى عَرْضِ الْبَحْرِ .

وقال طريفٌ :

— إِذَا أَصْبَحْتُ غَنِيًّا ، فَسَأَشْتَرِى سَفِينَةً ، وَأَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى هُنَا لِأَرَى مانكو مَرَّةً أُخْرَى .

وَمَا كَادَ يَنْتَهِى طَرِيفٌ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى سَمِعَ ضَحْكَةً خَلْفَهُ ، فَالْتَفَتَ لِيَرَى عَادِلًا وَعِمَادًا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ نَظَرَاتٍ حَانِيَةً . وقال عادلٌ :

— سَتَكُونُ غَنِيًّا غِنًى وَاسِعًا أَيُّهَا الرجلُ الصغيرُ .

وَكَذَلِكَ سَتَكُونُ الْآنِسَةُ الصغيرة عَزَّةُ غَنِيَّةً غِنًى وَاسِعًا .

لَوْ لَمْ تَكُونَا أَنْتُمَا ، وَمَا بَذَلْتُمَا مِنْ جُهُودٍ لَمَا اسْتَطَعْنَا الْعُثُورَ عَلَى الْكَنْزِ قَطُّ .

وَلَوْ لَمْ تَكُونَا أَنْتُمَا لَكُنَّا الآنَ أَسْرَى فِي قَبْضَةِ الْهُنُودِ، أَوْ قَتْلَى فِي مَعْرَكَةِ الْأَمْسِ.

إِنَّنَا مَدِينُونَ لَكُمَا بِحَيَاتِنَا وَأَرْوَاحِنَا.

ثِنَا أَنَّكُمَا عِنْدَمَا يَأْتِي وَقْتُ تَقْسِيمِ الْكَنْزِ سَتَحْصُلَانِ عَلَى نَصِيبٍ طَيِّبٍ؛ فَلَمْ يَسْبِقْ أَنْ جَلَبَ طِفْلَانِ هَارِبَانِ لِأَحَدِ مُرْتَادِي الْبِحَارِ حَظًّا حَسَنًا كَمَا جَلَبْتُمَا لِي.

وَبَرَّ عَادِلٌ بِوَعْدِهِ. فَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الْوَطَنِ، وَاقْتَسَمُوا الْكَنْزَ، وَجَدَ طَرِيفٌ وَتَرَّةٌ أَنَّهُمَا قَدْ أَصْبَحَا أَغْنَى مِمَّا كَانَا يَحْلُمَانِ بِهِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمَا عَادَا مَرَّةً أُخْرَى لِيَعِيشَا مَعَ عَمِّهِمَا فَإِنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَضْرِبُهُمَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ.

وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْحَوَادِثِ، اشْتَرَى طَرِيفٌ سَفِينَةً كَبِيرَةً، وَأَبْحَرَ بِهَا إِلَى الْهِنْدِ الصِّينِيَّةِ، وَهُنَاكَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُقَابِلَ صَدِيقَهُ الْقَدِيمَ مانكو، وَيُجَدِّدَا صَدَاقَتَهُمَا مَرَّةً ثَانِيَةً!!

القاهرة
مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى

مؤسسة المطبوعات الحديثة
شارع ماسبيرو رقم ٣ بالقاهرة
الجمهورية العربية المتحدة